1.8.2015

دفاتر فلسفية • نصوص مختارة

# العنف

إعداد وترجمة

محمد الهلالي وعزيز لزرق

دار توبقال للنشر

17

دفاتر فلسفية
نصوص مختارة

17

# العنف

إعداد وترجمة
عزيز لزرق ومحمد الهلالي

**دار توبقال للنشر**
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفدير، الدار البيضاء 20300 - المغرب
الهاتف/ الفاكس : 23 23 34 22 5(212) - 38 40 40 22 5(212)
الموقع : www.toubkal.ma البريد الالكتروني : contact@toubkal.ma

Twitter: @ketab_n

صدر
ضمن سلسلة دفاتر فلسفية

1
التفكير الفلسفي
2
الطبيعة والثقافة
3
المعرفة العلمية (نفد)
4
الحقيقة
5
اللغة
6
الحداثة
7
حقوق الإنسان
8
الإيديولوجيا
9
العقل والعقلانية
10
العقلانية وانتقاداتها
11
الحداثة وانتقاداتها
I
نقد الحداثة من منظور غربي

12
الحداثة وانتقاداتها
II
نقد الحداثة من منظور عربي ـ إسلامي
13
ما بعد الحداثة
I
تحديدات
14
ما بعد الحداثة
II
فلسفتها
15
ما بعد الحداثة
III
تجلياتها وانتقاداتها
16
الحرية
17
العنف

Twitter: @ketab_n

ثم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
دفاتر فلسفية

الطبعة الاولى 2009
©جميع الحقوق محفوظة

الإيداع القانوني رقم : 2009 MO 2392

ردمك 5-95-496-9954-978

Twitter: @ketab_n

# تـمهيد

علما بأن الإنسان كائن عاقل، يتوفر على ملكة تمكنه من الإصابة في إصدار الأحكام، وعلما بأنه كائن ناطق، اهتدى إلى اللغة للتعبير لا فقط عن حاجاته، بل عن انفعالاته وصراعاته، فلم لم تنجح تعاليم العقل في تخليص الإنسان من نزوعاته التدميرية؟ لم لم تستطع اللغة والحوار امتصاص عدوانية الإنسان؟

لقد وضع الإنسان القوانين لضمان حسن سير وتنظيم الجماعة، كما وضعت البشرية إطارا مؤسسيا للقوة في شخص الدولة ورمزية السلطة، ولكن لم لم يوقف القانون مد القتل والاعتداء؟ ولم لم تستطع القوة كعنف مشروع جعل الناس يعتبرون ويمتنعون عن القيام بالعنف اللامشروع؟

أيضا عملت الأديان على مخاطبة الروح، داعية إلى نبذ الشر والكراهية، فكيف يضرب الإنسان عرض الحائط بهذا التأصيل للأخلاق وللروحانيات، ويصبح ميالا للسفك والأنانية والبشاعة و الإرهاب و اللاتسامح؟

لعل هذا هو السبب الذي جعل بَاسْكَال يقر بوجود صراع خالد بين الحقيقة والعنف، إذ لا تستطيع الحقيقة القضاء على العنف، ولا يستطيع العنف حجب أنوار الحقيقة...هل لأن غريزة الحقيقة، بلغة نيتشه، هي الوجه

Twitter: @ketab_n

الآخر لغريزة العنف؟ وبالتالي هل العنف طبيعة بشرية؟ هل يختزل العنف في القوة المادية، أم أن أشكاله الرمزية هي التي تعمل أكثر على استدامته؟ وإذا ما افترضنا أن العنف شرٌّ لابد منه، فلم لم تتوفق البشرية طوال تاريخها، ومع ما تراكم لديها من تجارب، على إيقاف العنف، بل على الحد منه على الأقل؟ لم لا يزداد العنف إلا استفحالا في حاضرنا، في عصرنا وحياتنا اليومية؟

إن أول شكل يظهر فيه العنف ، هو العنف الطبيعي، إذ من السهولة بمكان الحديث عن الوحشية والعدوانية، والافتراس والقتل كخصائص تميز الحيوان، والطبيعة عموما. وهذا ما دفع بالكثير من الفلاسفة والأنتروبولوجيين إلى التفكير والبحث في الطبيعة الإنسانية، قصد معرفة مدى إمكانية تفسير العنف البشري على ضوء الفطرة والطبيعة البشرية. إن العنف الطبيعي كميل نحو القتل والاعتداء وما يولده من عنف نفسي، كميل نحو التعذيب ليس هو العنف الوحيد الذي يعرفه الوضع البشري، بل هناك تجليات متعددة من العنف: إذ يمكن الحديث عن العنف الاجتماعي، الذي قد يمارس داخل المجتمع، يتعلق الأمر بإكراهات اجتماعية، حيث يمارس الرأي العام ضغطا على الفرد في حالة ما إذا لم يمتثل للقيم الثقافية التي تؤطر الجماعة، وقد يتعرض لطرق عنيفة تتجلى في النفي والنبذ والإقصاء والطرد.

إذا كنا قد تحدثنا عن العنف كظاهرة ملازمة للإنسان و للجماعة، فهذا يعني أن العنف محايث للتاريخ، إذا كان الإنسان صانع لتاريخه فهو إذن مسؤول عن العنف الذي يشهده التاريخ البشري، وإذا كان التاريخ قدراً مرسوماً فمعنى ذلك أن الإنسان لا يمكنه إيقاف مد العنف، الذي ينساب على طول التاريخ.لكن كما يتطور الإنسان والمجتمع والتاريخ، يتطور كذلك العنف، فأسباب الحروب ونتائجها، وطبيعة العنف، كل هذا تغير بتغير التاريخ. لقد تطور العنف في التاريخ المعاصر إلى أن اتخذ صفة

Twitter: @ketab_n

الإرهاب، إنه عنف لا يمكن فصله عن التطور التاريخي الحاصل في نظام العولمة.

يبدو إذن أن العنف ظاهرة إشكالية بامتياز، إذ بقدر ما هو مدمر للإنسان وبقدر ما يلعب دورا مهما في صنع التاريخ البشري، بقدر ما يشكل تهديدا حقيقيا لمصير الإنسانية. وبقدر ما يعتبر أساسا لتثبيت السلطة السياسية بقدر ما يمكن أن ينقلب ضدها. هكذا فالعنف ضرورة طبيعية لا سبيل للحد منها سوى التربية، كما أنه ظاهرة تاريخية، لا يمكن تقليص مساحة حضورها سوى بتجذير الوعي الكوكبي، كما يقول إدغار موران. ثم إنه ضرورة سياسية يمكن تقعيدها على مبادئ الديموقراطية والعدالة والحرية في أفق بناء مستمر لدولة الحق والقانون. يقول ستانلي هوفمان : «نأمل أن يتفهم مسؤولونا، أنه بعد أن نجحوا في جمع تحالف الحلفاء ضد الإرهاب، فإن مصلحتنا تقوم في أن يكون لنا شركاء في بحثنا عن الحرية، عن الحياة وعن السعادة، في عالم يتنامى فيه التوحش. علينا أن نفهم الآن أننا لا يمكن أن نستفيد بكل طمأنينة من هذه القيم الموجودة عندنا، إذا كان الآخرون في الخارج، لا أمل لهم في أن يتقاسموا معنا هذه القيم»[1].

1) ستانلي هوفمان: وضعية العالم الحزينة لوموند 24 يناير 2002.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

# I . تحـديد المفهوم

## 1.I. تعريف

أندري لالاند

العنف خاصية ظاهرة أو فعل عنيف. يتعلق الأمر باستخدام غير مشروع، أو على الأقل غير قانوني، للقوة. بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش تحت نير قوانين مدنية، فنحن مجبرون على وضع تعاقد، إذ بواسطة القانون يمكننا أن نكون ضد العنف». (مونتسكيو ).

نطلق اسم العنف على ما يلي:

(أ) كل ما يُفرض على الكائن، بحيث يكون متناقضا مع طبيعته: نقول «حركة عنيفة» ( بالمعنى الأرسطي ). تستعمل هذه العبارة أيضا في اللغة الفلسفية، نسبة إلى مذهب أرسطو، لكنه استعمال نادر جدا، ويمكن أن يساء فهمه، نظرا للمعنى المخالف الذي يأخذه في اللغة المتداولة.

(ب) كل ما يمارس بقوة حادة ضد ما يشكل عائقا بالنسبة إليه: «ريح عنيفة (أي عاصفة )»، صدمة عنيفة، انفجار عنيف.

(ج ) نستعمل كذلك كلمة عنيف، عندما نتحدث عن الأحاسيس أوالأفعال: بل حتى على الطباع، والتي تلتقي في فكرة واحدة، ألا وهي وجود اندفاعات تنفلت من قبضة الإرادة، نقول :«هوى عنيف – رغبة عنيفة».ومع ذلك يمكننا عند الاقتضاء أن نتحدث عن فعل، أو قول «عنيف بشكل إرادي»، لكن هذه حالة استثنائية، نكون دائما فيها إزاء نوع من التصنع.

(د ) نستعمل كلمة عنيف، عندما يتعلق الأمر بشخص ( أو بطبعه ): ونعني ذاك الذي يتصرف بطريقة عنيفة، ضد كل ما يقاومه.

Twitter: @ketab_n

( هـ ) كل ما يحيل على العنف، «فذاك الذي يعمل من أجل العدالة، يعمل لما فيه مصلحة الجميع، بينما أولئك العنيفين، لا يعملون إلا لما فيه مصلحة لأنفسهم، وفي بعض الأحيان يكونون، في نهاية المطاف، عنيفين ضد دواتهم» ( بيلوت ).

Twitter: @ketab_n

# II . العنفُ بين الطّبيعَةِ والثّقَافَة

## 1.II. العنفُ أو لعبةُ الحيَاةِ والموْت

جُوزيفْ دوميسْتر

بمجرد ما يغادر المرء العالم الفاقد لكل حس، يواجه قرار الموت العنيف مكتوبا على تخوم الحياة ذاتها: فكم من النباتات تموت. هكذا داخل مملكة النبات نبدأ سلفا بالإحساس بالقانون : فكم منها تموت وكم تقتل، منذ المرحلة التي وجدت فيها شجرة الكتلبة الضخمة وحتى عهد نبتة النجيلة المتواضعة. ولكن بمجرد ما يلج المرء مملكة الحيوان، يفاجأ بالبداهة المرعبة المميزة لوجود القانون، يتعلق الأمر بقوة مختفية ومتجلية في آن واحد، تعلن عن نفسها منشغلة على الدوام بالكشف عن مبدأ الحياة من خلال وسائل عنيفة. ففي كل قسم كبير من أقسام النوع الحيواني، اختارت تلك القوة عددا من الحيوانات التي كلفتها بالتهام الحيوانات الأخرى: وهكذا، توجد حشرات جوارح، وزواحف جوارح، وطيور جوارح، وأسماك جوارح، ورباعيات أقدام جوارح. لا تمر لحظة زمنية لا يُلتهم فيها كائن حي من طرف كائن حي آخر: وعلى رأس هذه الأعراق العديدة من الحيوانات نجد الإنسان الذي لا تبقي يده المدمرة على شيء حي ولا تذر. فهو يقتل ليقتات، ويقتل ليلبس، ويقتل ليتزين، ويقتل ليهاجم، ويقتل ليدافع عن نفسه، ويقتل ليتعلم، ويقتل ليلهو، ويقتل من أجل القتل: إنه ملك رائع ومرعب، يحتاج لكل شيء، ولا شيء يقاومه (...)

لكن هل هذا القانون لا ينطبق على الإنسان؟ كلا بدون شك. و في هذه الحالة، ما هو الكائن الذي سيبيد ذاك الذي يبيد كل الكائنات؟ إنه هو ذاته. إن الإنسان هو الذي كلف بذبح الإنسان. ولكن كيف بوسعه أن ينفذ

Twitter: @ketab_n

هذا القانون وهو الكائن الأخلاقي الرحيم، وهو الذي ولد من أجل المحبة، وهو الذي يبكي من أجل الآخرين كما يبكي من أجل نفسه، الذي يتلذذ بالبكاء،والذي وصل به الأمر إلى حبك حكايات خيالية لكي يبكي نفسه، وهو الذي أخيرا- قيل له إنه سيؤدي ثمن آخر قطرة دم يسيلها ظلما. إن الحرب هي التي ستنفذ القرار.

أمسيات سان بترسبورغ (1821) ، الحوار السابع ضمن **الأعمال الكاملة المختارة** من طرف أ.م.شيوران، منشورات روشي، ص 72-70 .

## 2.II. القوّةُ هي القانُون الأسْمى

أفلاطون

كاليكليس: إن الأقبح، حسب الطبيعة، هو بالفعل الأمر الأكثر إجحافا والمتمثل في التعرض للظلم. أما الأقبح حسب القانون فهو ارتكاب الظلم. فالتعرض للظلم لا يمكن حتى اعتباره من فعل الإنسان: فهو أمر صالح للعبد الذي لا يملك القدرة على رد الظلم الذي يتعرض له هو شخصيا ويتعرض له أيضا من يحب. لقد صيغ القانون من طرف الضعفاء والعامة، لذلك فهم يسنون القوانين ويوزعون المدائح والشتائم على مقاسهم وحسب مصالحهم الشخصية ولتخويف الأقوياء القادرين على غلبتهم. ولمنعهم من الانتصار عليهم يصفون التفوق بالقبح والظلم، ويعتبرون أن الظلم هو بالأساس إرادة السمو على الآخرين: أما هم، فيكفيهم فيما أتخيل، أن يكونوا في مستوى الآخرين دون أن يعادلوهم في القيمة.

لهذا السبب يعتبر القانون كل محاولة لتجاوز مستوى العامة ظالمة وقبيحة، وهذا ما يسمى بالظلم. لكن الطبيعة ذاتها، في نظري، تبرهن لنا أن العدالة تقتضي انتصار من له أكبر قيمة على من له أدنى قيمة، انتصار القادر على العاجز، وتبين لنا في كل مكان، لدى الحيوان وعند الإنسان، في المدن-الدول وفي العائلات صحة هذا الأمر، وأن علامة ما هو عادل هي سيطرة

Twitter: @ketab_n

شديد القوة على الضعيف وتفوقه المسَّلَّم به. فبأي حق يشعل جزركسس Xerxès الحرب في أثينا؟ وبأي حق يحارب أبوه السيثيين Scythes؟ وكم من حالات مشابهة يمكن ذكرها؟ لكن هؤلاء جميعا يتصرفون، في نظري، وفق الطبيعة الحقة للحق، ويتصرفون، قسما بزوس، حسب قانون الطبيعة بالرغم من أن هذا القانون ربما يتناقض مع القانون الذي نسنه نحن، ونعتمده في تربية وتهذيب أفضلنا وأقسانا من الأطفال بتسلمهم في أدنى سن -مثل الأشبال- وإخضاعهم بقوة الصيغ السحرية والأقنعة المصطنعة، قائلين لهم بأنه لا يجب عليهم امتلاك أكثر من الآخرين لأن العدالة والجمال يكمنان في ذلك. لكن لما يلتقي، لحسن الحظ، ذلك الطفل في سن الرشد برجل موهوب جدا ليزعزع ويحطم ويرفض هذه الأغلال، فأنا متأكد أنه -بعد احتقار نصوصنا وسحرنا وتعاويذنا وكل قوانيننا المكتوبة والمناقضة للطبيعة- سيثور منتصبا كسيد أمامنا -وهو الذي كان بالأمس عبدا لنا- وآنذاك سيسطع نور الحق الطبيعي.

جورجياس، ترجمة كروازيت-بودان، دار النشر الآداب الجميلة،ص.183/ 182

## 3.II. العنفُ الإنسانِي بماهُو ضِدَّ الإنسَان

جانْ بول سارتر

داخل العلاقة التناظرية المحضة، يعتبر الآخر الذي ليس (هو) أنا بمثابة المثيل. لكن داخل العلاقة التناظرية التي طرأ عليها تغيير بفعل الندرة، يبدو لنا المثيل باعتباره ذاك المضاد-للإنسان، بما أن نفس الإنسان يبدو جذريا كآخر (أي ذاك الذي يهددنا بالموت). أو إن شئنا، نفهم بشكل عام غاياته (لأنها غاياتنا)، ووسائله (لأن لنا نفس الوسائل)، والبنيات الجدلية لأفعاله، ولكننا نفهم كل هذه الأمور وكأنها خصائص نوع آخر من الموجودات: صنونا الشيطاني. فلا الحيوانات المتوحشة ولا المكروبات ترعب الإنسان، إذ

Twitter: @ketab_n

لا شيء أكثر إرعابا له بالفعل، من نوع ذكي، لاحم، قاس، يكون بمستطاعه فهم وإفساد العقل الإنساني، ويهدف بالتحديد إلى تدمير الإنسان. هذا النوع هو بطبيعة الحال نوعنا متملكا من طرف أي إنسان آخر في وسط تميزه الندرة.

يشكل هذا الأمر على كل حال، وكيفما كان المجتمع، الرحم المجرد والرئيسي لكل أنواع التشيؤ التي تصيب العلاقات الإنسانية، وهو في نفس الآن، أول مرحلة من مراحل الأخلاق باعتبارها براكسيسا يضيء ذاته بالارتكاز على ظروف محددة. وتتجلى أول حركة للأخلاق هنا في تشكل الشر الجذري والفكر القائم على ثنائية الخير والشر (المانوية)، فالأخلاق تستحسن وتقيم (ليس في وسعنا التفصيل هنا في إنتاج القيم) إنهاء مبادلة المحايثة باعتماد الندرة المستبطنة، لكن من خلال تملكها كمنتوج لبراكسيس الآخر.. يتابع المضاد-للإنسان تصفية الناس بمشاركتهم غاياتهم وبتبنيه لوسائلهم. وتظهر القطيعة في اللحظة التي تكشف فيها هذه المبادلة الخادعة عن خطر الموت الذي تحتويه، أو إن شئنا، استحالة أن يظل جميع هؤلاء الناس -المنخرطين في علاقات تناظرية- فوق الأرض التي تحملهم وتطعمهم. وعلينا ألا نتخيل أن هذه الاستحالة المستبطنة تميز الأفراد ذاتيا: فعلى العكس من ذلك، تجعل كل فرد بالنسبة للآخر خطيرا من الناحية الموضوعية، وهكذا فالإنسان يتكون موضوعيا باعتباره لا إنسانا، وتترجم هذه اللاإنسانية في البراكسيس عبر تملك الشر كبنية للآخر.

نقد العقل الجدلي، غاليمار، 1966، ص 208.

Twitter: @ketab_n

## II.4. العنفُ كنزْعَةٍ داروِينيّة

جُونْ لوِيس

في السنوات الأخيرة، انتعشت داروينية القرن التاسع عشر الاجتماعية القديمة التي كانت ترى في «الصراع في سبيل البقاء» و «بقاء الأصلح» دعما علميا ضخما لفكرة المجتمع الاكتسابي أو المفترس. وقد تناول باغوت الفكرة على نحو مؤثر وموجز حيث قال :

«مهما يقال ضد مبدأ» الانتقاء الطبيعي، «فلا ريب في هيمنته في المجتمع البشري. فقد قتل الأقوياء دائما الضعفاء، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وفي كل دولة خاصة من العالم، يجنح الذين هم الأقوى إلى الهيمنة على الآخرين، ويجنح الأقوياء إلى أن يكونوا الأفضل».

إن أية معرفة أعمق بالتركيب الوراثي للتغير الارتقائي تعتبر الارتقاء لا مجرد «صراع»، بل الغربلة التدريجية لخزائن الجينات الوراثية إلى أن يكونَ كامل السكان أفضل تكيفا مع شروط هذا الارتقاء. وتعتبر فجاجة التقدير الاستقرائي للانتقاء للمجتمع الذي يطرحه باغوت «عقلنة» لسياسة عدم التدخل، أكثر منها تلخيصا ملموسا لمواقف بيولوجية. ومن ثم، ففيما هددت الثورة الاجتماعية استقرار المجتمع بالذات، فقد توقف تأثير البيولوجية الفجة الذي كانت تمارسه الداروينية الاجتماعية، وذلك بظهور روح جديدة من المسؤولية الاجتماعية عن الناس الأقل سعادة. إلا أنها ما تزال تعكس جنوحا دائما في التفكير الغربي، وتعاود الظهور من وقت لآخر في نظريات تعتبر الانسان في جوهره، مفترسا وعدوانيا. في سلسلة المحاضرات التي ألقاها برترندراسل عام 1648 تحدث عن : «ضراوتنا البدائية وغير الواعية إلى حد كبير... الغرائز القديمة التي تحدرت إلينا من أسلافنا القبليين، كل أنواع الحوافز العدوانية الموروثة من أجيال طويلة من المتوحشين».

Twitter: @ketab_n

إن الأنتروبولوجيين الاجتماعيين لن يدعموا مفهوم راسل عن الإنسان البدائي، الذي لم يكن في الحقيقة متوحشا جدا توحش الإنسان الحديث. إلا أن راسل كان يعكس اعتقادا شعبيا واسع الانتشار بـ «رجل الكهف من الداخل أوفي داخله». والحقيقة أن فرويد اعتبر العدوان علامة «الإنسان في داخله» إلى درجة كبيرة جدا. واعتبره الحافز المكبوت بصدد التعبير عن الذات وتحقيق لها غير مقيدين. إذ كان يقول : إن الناس ليسوا مخلوقات ودودة وديعة... إن درجة هائلة من الرغبة في العدوان يجب أن يحسب حسابها كجزء من موهبتهم الغريزية.

وقد حظي حتى الآن هذا الاعتقاد واسع الانتشار بدعم كبير من الجهود المشتركة التي يبذلها مختصون بعلم النفس الحيواني من أمثال كونارد لورينز، الذي يجب أن نذكر بأنه لا يمثل إلا أقلية صغيرة في هذا الاختصاص، والأنتروبولوجي الهاوي روبرت اردري، بنظرياته عن طبيعة أسلاف الإنسان المباشرين. وقد روج نظرياتهم ترويجا ناجحا كتاب دزموند موريس، «القرد العاري»، الذي يشتق الإرث الأساس لأنماط سلوك الإنسان من أسلافنا الشبيهين بالقرود، وهي في رأيه هبة تقرر وراثيا و من ثم، فهي غير قابلة للزوال عن طريق التربية أو التشريع أو الإصلاح الاجتماعي. وموريس يدرك جيدا نتائج موقف لورينز أردري- موريس. فهو يعلن بأنه إذا عبر البعض عن التفاؤل بقدرتنا على إعادة صياغة أسلوب حياتنا، والسيطرة على إحساساتنا العدوانية والاستحواذية، والهيمنة على حوافزنا الأساس، فإن هذا هراء. لأن طبيعتنا الحيوانية الصرفة لن تسمح أبدا بهذا في نظره».

جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الفريد، ترجمة صالح جواد الكاظ، مدار الرشيد للنشر، العراق، 1981، ص. 99/ 98/ 97

Twitter: @ketab_n

## II.5. الأُسُسُ الفيزيولوجيَّة للعدوَانية

فاوستو أنطونيني

«إذا تناولنا تعبير العدوانية على الصعيد الفيزيولوجي – أي في إطار نظرية الكيمياء الحيوية للانفعالات – نجد أنها تندرج ضمن مفهومين مختلفين. فهناك من جهة العدوانية، الغيض، الغضب، أي السلوك العدواني في فترة الإنفجار، وهناك من جهة ثانية العدوانية، الحقد أي التوتر الدائم الكامن والمستمر.

بالطبع، يرتبط كل مظهر من مظاهر العدوانية هذين الواحد بالآخر. فالتوتر الدائم أي الحقد ينتج عن مجموعة من التوترات العدائية الحادة، التي تتراكم بشكل لا يمكن معه التخفيف من حدتها، وإذا خفت فإنما يتم ذلك بطريقة هي أساس ضمن عضوية.

إن الحافز على الغضب، المصاحب بخوف شديد ( وذلك بسبب النتائج الجزائية التي تنجم عن الظواهر الطارئة للعدوانية ) يؤدي إلى تفريغ شحنات الغضب داخليا ضد متعضي الفرد بالذات. لذا، فإن هناك إمكانا لظهور عوارض من التشنجات، وضيقا وظيفيا أو عضويا قد يحدث أحيانا الوفاة. أضف إلى هذا أن الحقد قد يهيئ ويعد المتعضي للغضب، ويجعله حساسا، تجاه المعادية ويضعه في ظرف قادر فيه أن يطفر، كما لولب إذا ما ضغطناه بقوة.

أما بصدد سلوك الحيوانات العدواني، فيفضل بعض الباحثين الكلام على تصرفات مقيتة معتبرين أن العدوانية الحقة هي خاصة الإنسان والإنسان وحده. هذا الرأي هو رأي الاخصائيين في سلوك الحيوانات وليس رأي العلماء الذين يدرسون الفعل الإنساني.

ولا غرو أن العدوانية عند الإنسان، بمعنى من المعاني، تتمتع باستقلالية، أي أنها تتحول أو قد تتحول إلى غاية بذاتها. لكن هذا ينجم بنفس المقياس

Twitter: @ketab_n

الذي به يصبح السلوك الإنساني متمتعا أيضا بالاستقلالية – السلوك الذي يؤلف عالمنا الثقافي، هذا العالم الذي ينتقل إلينا بعد أن يكون قد تغربل من جديد على مستويات ليست وراثية على صعيد العلم الواثي.

أضف إلى ذلك أن العدوانية ليست وحدها التي ترتد على المتعضي – بل هناك أيضا كل مواقف الإنسان الأخرى – تحت أشكال أمراض نفسية – جسدية وأعراض عصابية... بل تولد وتنمو وتتجذر على أرضية بيولوجية عميقة. فاللاوعي ما هو سوى صلة وصل بين المتعضي والنفسي، بين الجسد والروح، بين الطبيعة والثقافة.

(...) وعندما ينتهي بنا الأمر إلى الإنسان نجد أن العلاقة المعادلة تبلغ أقصى الدركات : فإذا لم يتم التوصل بعد إلى وضع قانون ـ فإننا نستطيع على الأقل تعيين قاعدة تقريبية (وهناك بعض الاستثناءات ). ففي إطار منظومة من ردود الفعل المعينة نرى أن ظواهر الغضب تتناسب عكسيا مع تراكم العدوانية ( الحقد ) ضمن مجمل العلاقة المتكاملة تواتر – شدة».

فاوستو أنطونيني، **عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية**، ترجمة نخلة فريفر، سلسلة الكتب العلمية 10. معهد الإنماء العربي، 1989، ص.38/ 37

## 6.II. السّاديّة والمازُوشِية

ف. أنطونيني

إننا نعلم جميعا أي حيوان مفترس وقاس يهجع في قرارة الإنسان، ويكفي القليل كي يفيق وينفلت من قيوده. إن التصور عن الحيوان المتوحش هو تصور غير مفصح ولاملائم؛ إنه جائر بالنسبة لعالم الحيوان. لأننا لا نجد في هذا العالم حالات من الوحشية يمكن أن نقارنها بوحشية الإنسان. فالعدوانية عند الحيوان، لا تصل مطلقا إلى الاستقلالية في السعي ذاتيا وقصدا، التي تميز الحقد لدى الإنسان.

Twitter: @ketab_n

إن عمليات رصد الإنسان لنفسه يجب أن تلقي الضوء على عدوانيته، لكن علينا التنبه لوجود عمليات صد للعدوانية، ويبذل الإنسان جهدا، في معظم الحالات، لدفع العدوانية إلى خارج ذاته، بطريقة تجعله ينكرها ويتعامى عنها ولا يراها. فاكتشاف الحقد الذي يسكننا يولد الضيق ويسقط تقريبا كل الإيديولوجيات. لهذا السبب عندما يسير الإنسان تبعا لقانون المتعة في البحث عن اللذة أو بالأحرى عن الشقاء الأقل – فإنه بذلك يؤثر ( وذلك ليس مثبتا، وإنما يتطابق مع انعكاس كل نفسيته ) ألا ينظر إلى الشر في داخله. وكي لا يشعر في قرارات ذاته أن الشر يسيطر عليه، يخترع عدوا وهميا، يكفي أن يقضي عليه حتى يصل نهائيا إلى إلغاء كل الشر من العالم. لكن هذه النظرة هي نظرة لاواقعية وهمية ومحض إسقاطية عندما ندعي أن العدو يشكل الشر، كل الشر، في العالم. وتصبح هذه النظرة أكثر صوابية عندما نكتشف الشر الموجود واقعا في هذا العدو.

لكن هذا الاكتشاف للشر في الآخرين يمنعنا من رؤية الشر الموجود فينا. مثلا كل ما يقال عن الخصم من شر، في المجادلات السياسية – الايديولوجية، يصح نسبيا، بينما كل الخير الذي يدعيه نفسه خاطئ تماما. (...)

على الصعيد الفردي تظهر السادية والمازوشية بمظهر يتغير أبدا. من السخرية، التي هي كناية عن عملية تنكيد بسيطة إلى القتل. فالسادية هي خليط من الليبيدو والعدوانية : إنها الإيروس الذي قيده وأخضعه واستعبده وحوله التاناتوس إلى أداة. ويعرف كرافت ابينغ السادية والمازوشية على الشكل التالي (نطلق اسم السادية على الإحساس بلذة الحواس حتى الشبق، وهذا الإحساس الناجم عن عمليات التحقير، والإذلال والعقاب والقسوة التي تمارس على شخص آخر أو حيوان. ونطلق هذه التسمية أيضا على الرغبة التي تسبب إحساسات اللذة هذه عند القيام بأفعال تلائم هذه الرغبة. أما المازوشية فهو الوجه المعاكس. في حين تبغي السادية إحداث

Twitter: @ketab_n

الألم واستعمال العنف، إن المازوشية تهدف إلى تحمل الألم وتصبو أن تكون ضحية أعمال العنف. إن المازوشي تتسلط عليه فكرة أن يكون خاضعا كليا، لإرادة كائن من الجنس الآخر، وفكرة أن يحسب نفسه بمثابة عبد حقير ومهان له. في حالة السادية، كما في حالة المازوشية تترافق الصور بشعور النشوة. والإنسان المصاب بأحد هذين المرضين يتغذى بأحلامه هذه، وغالبا ما يسعى إلى تحقيقها.

وقد يحصل أن يجتمع هذان الانحرافان لدى نفس الفرد. لكن بشكل عام يهيمن أحد هذين المظهرين إلى درجة يصعب معها تصنيف الحالة التي تواجهنا. لكن الدراسة المعمقة للحالة قد تكشف أيضا أن الشخص يرتضي العذاب والشهادة فقط كي يتمكن من قلب الأدوار في مخيلته). "

فاوستو أنطونيني، عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر، سلسلة الكتب العلمية 10. معهد الإنماء العربي، 1989، ص. 69 / 70

## II.7. العنفُ والعدوَان

باربارا ويتمر

إن فهم العنف بأنه طبيعي وضروري من الناحية البيولوجية هو تفسير لرموز مشحونة عاطفيا، مثل الحرب ( الربط القوي بين الغضب، والخوف، والسلوك العنيف )، التي تؤمن في تقييمها المعرفي لسبب السلوك العنيف، بأن العنف فطري. قد تشرِّع السلطة الاجتماعية الحرب وتصادق عليها وتعدها مقبولة عندما تشن ضد «معتد» يعبر عن «سلوك عنيف متعذر ضبطه»، لكن يمكن إيقافه بالأسلوب العنيف ذاته. أو يمكن شن الحرب نظرا إلى عدم جدوى تجنب الاعتداء على آخر، بمعنى أن شن الحرب ضد آخر هو من ضمن التركيب البيولوجي للبشر. هناك دوامة من العنف يشرعها ويعززها الإيمان، أو التقييم المعرفي للعنف والقائل إن العنف تعبير ضروري

Twitter: @ketab_n

عن الغضب، الذي يفسر بأنه عدوان، أو أنه دافع فطري للسيطرة على ما هو فطري أو تدميره، بوصفه «إرادة قوة»، شجاعة.

يضمن الإيمان بعنف الغضب خطأ في التصنيف بين الغضب كانفعال والغضب كسلوك. فكيفية التعبير عن العنف تعتمد على القيم والمعتقدات الاجتماعية، التي يفسر من خلالها معنى الانفعال والسلوك، الذي يعبر عنه. والتعبير عن الغضب يعتمد على توقعات السلوك الاجتماعية، وعلى السماح بذلك السلوك. يتكيف الانفعال والتعبير عنه اجتماعيا. وتبعا لهذه النظرة، لا يوجد خط سببي مباشر من الدافع إلى السلوك، الذي يكون الدافع العكسي. بل إن الدافع هو شبكة تعطي الأولوية للإثارة العاطفية، والتقييمات العكسية، والمغزى الرمزي، والمعتقدات المعتمدة، والسلوك المتبنى اجتماعيا.

إن تطوير مفردات عملية لخطاب العنف يمكن أن يقدم تعريفا عاما للأعمال العدوانية بأنها سلوك ينتج منه أذى شخصي وتدمير جسدي. لقد جرى تعريف العنف الاجتماعي بأنه هجوم على فرد أو على ملكيته لمجرد انتساب الفرد إلى هيئة اجتماعية. تصور هذه التعاريف العنف بأنه أعمال تسبب الأذى المادي، وبأنها متعمدة، ولها تأثيرات مباشرة. ويمكن اعتبار الأعمال التدميرية والقسرية الأخرى استخداما لأنواع من القوة، التي تمنع حرية الفعل، أو الحركة العادية، أو أنها تكبت الأفراد من خلال التهديد بالعنف. اعتبرت التهديدت اللفظية غير عنيفة، لكنها عدوانية، بوصفها محاولات لتدمير سمعة الفرد أو تقويض علاقات الأفراد مع غيرهم من بني البشر. فالعنف المرتكب بحق النساء والأطفال يتضمن الإساءة اللفظية والجسدية.

وتوجد ثلاث عناصر للتحقق من عدوانية أي عمل. أولا، تجري ملاحظة عمل ما، فقد يكون قسريا أو لا يكون. ثانيا، يجري استنتاج نية فعل الأذى. ثالثا، يحكم على الفعل بأنه غير معياري. في هذه الحالة قد

Twitter: @ketab_n

يوجه اللوم إلى الفاعل ويستهجن، أو ربما يتعرض للعقاب. وفي هذا الإطار يراقب السلوك، ويستنتج الدافع، ويطلق الحكم الأخلاقي. ولكي نقوم بتمييز أكثر تحديدا بين العنف والعدوان، يمكننا أن نفرق بين سلوك «العنف» و «الأعمال التدميرية الاجتماعية» من جهة، ودافع «العدوان» من جهة أخرى. كما يجب التمييز بين نية العدوان وانفعال الغضب. فقد تكون النية الإرادية الملاحظة للقيام بعمل عدواني آلية دفاع معينة ضد أحداث بغيضة حرضها الغضب كي تمنع أو توقف الأذى أو الألم، كما هي الحال في اضطراب ضغط عقب صدمة».

باربارا ويتمر، **الأنماط الثقافية للعنف**، ترجمة ممدوح يوسف عمران. عالم المعرفة، العدد 337، مارس، 2007 . ص. 42/ 41/ 40

## 8.II. العنفُ تفاعُل الفطرِي والمكتَسَب

باربارا ويتمر

أظهرت البحوث التي أجريت على الحيوانات أن هناك بنى تحت القشرة (مراكز عصبية تحت القشرة الدماغية للمخ)، وبشكل أساسي جهاز الوطاء والجهاز الحوفي. يعمل هذان الجهازان كآليتي جملة عصبية تتوسطان السلوك العدواني، ويجري تحريضهما انتقائيا والسيطرة عليهما بالمعالجة المركزية للتحريض البيئي. كما تؤثر عوامل التعلم الاجتماعي في أنواع الاستجابات التي من المحتمل أن يجري تحريضها بإثارة البنية العصبية ذاتها (...).

يظهر العدوان عند معظم الحيوانات في قالب طقوس عروض تهديد وإذعان، واسترضاء، يستثنى منها البشر. ومع ذلك لا يحل البشر صراعهم عبر العرض الطقوسي. إن الغياب الظاهر للوازع الفطري لدى البشر يترك مهمة ضبط الصراع إلى مصادقة السلطة والعرف الاجتماعيين. فيجب أن

Twitter: @ketab_n

تكون بيئة البشر الاجتماعية مركز التحريات بشأن العدوان البشري، وليس الاستنتاجات من السلوك الحيواني.

تركز الجدال بين العدوان الطبيعي والمكتسب مع بداية السبعينات من القرن العشرين في كتاب العنف والدماغ لفيرنون مارك وفرانك إيرفين، اللذين دعوا إلى فحص اجتماعي قسري لـ «عتبات العنف». يجري تحديد أولئك الذين لم يجتازوا الاختبار، ويمنعون من إيقاع «أذى» في المجتمع. كانت الجراحة النفسية أو ما يعرف بـ «الجراحة الفصية» أحد أساليب المنع (...) كان العنف الفردي علامة على اضطراب راجع إلى الآليات، التي تتحكم بالسلوك العنيف. وقد يكون الاضطراب راجعا إلى مرض في الدماغ التكويني والمكتسب ( ضربة على الرأس ).

يمكن أن يكون الأشخاص، الذين يظهرون علامات اضطراب أو فقدان سيطرة ميالين إلى الأعمال العنيفة أو يمتلكون «عتبات عنف منخفضة». وبالنظر إلى هذه الاحتمالات ادعى الكاتبان أنه من «الضروري» تحديد أولئك الأشخاص ذوي الأدمغة القاصرة، بحيث يمكن علاجهم، وبالتالي يمكن منع عنفهم. إن تحديد الفرد العنيف وضبطه يعكس الادعاء القائل بأن «تعلم الناس التحكم المناسب بدوافعهم هو شرط مسبق لكل حياة مشتركة متحضرة».

لقد أثار اقتراح منع العنف بواسطة ضبط السلوك الفردي سلسلة متلاحقة من الردود. ادعى بعض النقاد أن الطب النفسي أصبح قوة سياسية عبر إخفائه الصراع الاجتماعي بوصفه «مرضا»، وتبريره الإكراه بوصفه «معالجة». وقد جادل آخرون بأن الزعم بكون العنف يصدر عن دماغ الفرد هو زعم مريب بسبب «الطبيعة الاجتماعية أساسا ( أو اللااجتماعية) للأعمال الهجومية العنيفة». فالعنف يشير إلى الصفقة السلوكية، التي يقوم بموجبها شخص بممارسة عمل ضد شخص أو (شيء) آخر يعده المتلقي أو الآخرون مؤذيا وغير مبرر. ويحصل العنف ضمن سياق اجتماعي من

Twitter: @ketab_n

التفاعل والتسمية، إذ يصبح الفاعل العنيف أحد المشاركين (...)

و إذا اعتبرنا أن هناك سلوكا عنيفاً ذا صلة اجتماعية، عندها نعطي رأيا حول كيفية تصورنا لظاهرة العنف كحرب، وحول جميع المشاركين فيها. ولكي نطور هذه الفكرة أكثر نقول، إن القتال من وجهة نظر العنف المكتسب، هو سلوك مكتسب، يعتمد على مبدأ التعزيز. فألم الهجوم يمكن أن يحرض القتال الدفاعي بألم، لكن العدوان الذي هو بالمعنى الحرفي هجوم غير مبرر، يمكن أن ينتج عن التدريب فقط.

(...) إن دور التعلم في العنف يتضمن التمييز بين مفهومين، الاكتساب والعادة؛ بحيث يعتمد اكتساب سلوك القتال على عوامل كيميائية حيوية، أما عادة القتال فتعتمد على التعلم السابق، أي على تاريخ من القتال. إن أنماط القوة المحركة العدائية الموروثة قد تكون جزءاً من تكوين الكائن السلوكي، لكن سواء أجرى التعبير عنها أم لا، فإن كيفية التعبير عنها، تعتمد على التعلم. هذا ما يؤيده الدليل الذي يظهر أن السلوك الهجومي لدى البشر لا يحدث قبل الكلام والمشي.

يقبل منظرو الغريزة الفكرة القائلة إن دافع العدوان أو غريزته تنبع تلقائيا، فتحدث سلوكا عدوانيا. لكن لا يوجد بعد مثل هذا النوع من الدافع الموروث. ومن جهة أخرى يقبل منظرو الغريزة فكرة تفترض بقاء الدافع العدواني المثار نشطاً إلى أن يجري تفريغه بنوع من العدوان. هنا يصبح العدوان نتيجة للإحباط الذي يحل محل الغريزة من حيث إنه مصدر تنشيط. النظريتان متشابهتان جدا، إذ يمكن تفسير شيوع الإحباط بأنه وجود طاقة عدوانية زائدة لدى أشخاص يحتاجون إلى تفريغها.

باربارا ويتمر، **الأنماط الثقافية للعنف**، ترجمة ممدوح يوسف عمران. عالم المعرفة، العدد 337، مارس، 2007 . ص.52/ 50/ 49/ 48

Twitter: @ketab_n

## II.9. ضَرورةُ العدوانيّة وتوجِيهها

غاستون بوتول

من بين كل عوامل العنف، تحتل العدوانية مكانا مميزا، لأنها دائمة الحضور : إننا نجدها في صلب الصراعات وهي لما تزل بعد استعدادا سيكولوجيا مهما ومكنونا، لكن ما إن تتوكد حتى تثير فينا دلائل الميل إلى النزاع، هذه الدلائل التي تدفعنا إلى الرغبة في المجابهات، أو على الأقل إلى قبول المجازفة. إنها تنطلق ساعة ينفك العنف من أغلاله، وتبلغ الأوج في إشباع الميول التي تدمر الناس والممتلكات.

هكذا يبدو أن العدوانية، على صعيد السلوك الفردي أو الجماعي، هي في نفس الوقت سبب ونتيجة للأحداث. لكن هذا لا يشكل سوى واحدة من مجموعة من المشاكل التي تطرحها العدوانية، لأن واقع أن تكون العدوانية دائما في تغير مطرد، وواقع أن يكون الإنسان عينه حليما أو عنيفا على التوالي، وكذلك الفئة عينها، هذا الواقع يؤدي بنا إلى التساؤل عن «لماذا» و «كيف» تحدث هذه التبدلات. وهنا مركزية البحث الأساسي حول هذه الأشياء.

إن العوامل البيولوجية للعدوانية لا تقل أهمية عن غيرها، إذ تلعب بادئ ذي بدء، العوامل الفيزيولوجية دورا هاما على صعيد الأفراد. ونحن نعرف اليوم التقدم الهائل الذي أحرزته كيمياء الدماغ والجهاز العصبي في هذا المضمار. أضف إلى ذلك عوامل البيولوجيا الاجتماعية، ونعني بذلك تأثير البنى السوسيولوجية ( علم تكاثر السكان، وعلم الاقتصاد، ونظام المراتب، والعقليات السائدة أي البنى الذهنية )، على العدوانية الجماعية. فالعدوانية، على العموم، تبدو في نهاية التحليل وكأنها حصيلة مجموعة من العوامل البيو- سوسيولوجية.

فإحدى الميزات الأساسية لكل حضارة هي الطريقة التي تدرك بها

Twitter: @ketab_n

العدوانية وتنظمها. هذا الإدراك يرسخ في ذهن كل فرد من أفراد المجتمع منذ الصغر. فالتربية، كل تربية، تعمل على توجيه العدوانية. كل تربية تعلم كيف ومتى يجب أن نكبح جماح العدوانية أو ، على العكس، كيف ومتى نسمح لها بالانفلات والهياج. فالمراتب الاجتماعية، الظاهرة التي ترافق كل حياة اجتماعية تستوجب أيضا وتبعا للمرتبة، مقياسا للعدوانية.

لذا، فإن دور الدولة الرئيسي يقوم على منع القيام بأعمال العنف من قبل الأفراد، أو في أقل تقدير على تقييد هذا العنف والاستئثار به لاستخدامه. فالحق الأعلى للسلطة يقوم على توجيه العدوانية الجماعية. ومعيار الدولة السيدة في قانوننا الدولي هو سلطتها في كل حين في إطلاق جماح العنف المنظم، وفي مهاجمة من تشاء وحين تشاء.

غاستون بوتول، من مقدمة كتاب فاوستو أنطونيني، عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر، معهد الإنماء العربي 1989، ص. 8 / 9

## 10.II. غَريزَةُ العدوانيّة

سيغموند فرويد

ليس الإنسان كائنا هادئا، في حاجة للحب. إنه يريد أن يكون هو الكل أو أكثر، بحيث يكون على أهبة الاستعداد لكي يدافع عن نفسه متى تعرض لأي هجوم (...) لكن عكس ذلك نجد لديه بالفعل، من بين الاستعدادات الغريزية، جزءاً كبيراً جدا من الميول نحو الاعتداء. و ينتج عن ذلك أن القريب بالنسبة إليه هو ليس فقط عبارة عن مساعدة أو موضوع جنسي ممكن، بل هو أيضا إغواء، يتجلى في جعله موضوع إشباع لاعتدائه، واستغلال بدون أي تعويض قوة عمله، واستعماله جنسيا بدون أية موافقة، والاستحواذ على ما يملك، وإهانته، والتسبب له في الآلام، وتعذيبه بشدة وقتله. الإنسان ذئب لأخيه الإنسان( homo homini lupus )؛ فبعد كل تجارب

Twitter: @ketab_n

الحياة والتاريخ، من يمتلك شجاعة الاعتراض على هذه الحكمة؟

إن هذا الاعتداء الشنيع ينتظر، كقاعدة عامة، حدوث استفزاز يجعله يصبح رهن إشارة مقصد آخر، حيث يمكن بلوغ هدفه بواسطة وسائل أكثر هدوءا. ففي ظروف تكون ملائمة بالنسبة له، وحيث تغيب القوى المضادة التي عادة ما تعمل على كبحه، يتجلى هذا الاعتداء بشكل تلقائي، كاشفا داخل الإنسان عن الحيوان المتوحش، والذي تبدو فكرة صيانة نوعه البشري، فكرة غريبة عنه.

إن وجود هذا الميل نحو الاعتداء، والذي نستشعره في ذاتنا، ونفترض أنه يحتل مكانته الخاصة عند الآخر، هو العامل الذي يخلخل علاقتنا بالقريب ويرغم الثقافة على الاستهلاك الذي يعد ميزتها. وتبعا لهذه الكراهية الأولية الموجودة لدى الناس اتجاه بعضهم البعض، فإن المجتمع والثقافة مهددان باستمرار بالتفكك.

**قلق في الحضارة**، المنشورات الجامعية الفرنسية، «كوادريج»، 1995، ص. 54/ 53

## 11.II. السُّلطةُ والعنفُ

ج.دولوز

ما السلطة؟ يبدو تعريف فوكو لها بسيطا جدا، فهو يعتبرها علاقة قوى، أو أن كل علاقة قوى هي على الأصح، علاقة سلطة. لنشر بادئ الأمر إلى أن السلطة لديه، ليست شكلا، كشكل الدولة مثلا، وليست علاقة بين شكلين، كالمعرفة. لنشر ثانيا إلى أن القوة ليست على الإطلاق، قوة مفردة، بل إن من سماتها الجوهرية أنها ترتبط بقوى أخرى، وإن كانت كل قوة هي أصلا علاقة، أي سلطة : ليس للقوة موضوع آخر، أو ذات أخرى سوى القوة. ولا ينبغي اعتبار هذا التعريف على أنه يتضمن عودة إلى القانون الطبيعي، ذلك أن الحق يعد شكل تعبير، بينما الطبيعة تعتبر شكل رؤية، والعنف ملازم

Twitter: @ketab_n

للقوة أو نتيجة تترتب عنها وليس عنصراً مكونا لها. إن فوكو أقرب هنا إلى نيتشه ( وإلى ماركس أيضا )، الذي يرى أن علاقة القوى تتعدى العنف ولا تنحصر فيه أو تتحدد به. ذلك أن العنف ينصب على الأجساد والموضوعات أو على كائنات معينة يبيدها أو يبدل شكلها، بينما القوة لا موضوع آخر لها سوى القوة، قوة أخرى، لا تدخل في علاقة مع كائن آخر، بل مع قوى أخرى، فهي فعل في فعل أو أفعال ممكنة أو واقعة، مستقبلة أو حاضرة، إنها مجموع أفعال في أفعال ممكنة. بالمستطاع إذن تصور قائمة مفتوحة بطبيعة الأمر، بمتغيرات تعبر عن علاقة قوى أوسلطة، تشكل أفعالاً في أفعال : كالتحريض والإثارة والحث، أو التسهيل والتوعير، والتوسيع والتضيق والزيادة أو النقص في الاحتمال. تلك هي مقولة السلطة. وقد قدم كتاب «الحراسة والعقاب»، بهذا الصدد، قائمة مفصلة أكثر بالقيم التي كانت تقوم عليها علاقة القوى في القرن الثامن عشر وهي : التوزيع في المكان (ويتمثل في الحجز والرقابة والصف والتصنيف...)، الترتيب في الزمان (تقسيم الزمان إلى أجزاء، برمجة الفعل، تفكيك الإشارة...)، التركيب في المكان – الزمان (حاصل مجموع طرق تكوين قوة منتجة، أعلى من مجرد جمع القوى البسيطة الداخلة في تكوينها) وهذا ما جعل أطروحات فوكو الأساسية حول السلطة، كما أسلفنا تنقسم إلى ثلاثة أنواع : ليست القوة بالضرورة سلطة قامعة ( لأنها تحرض ، تحث أو تثير وتنتج )، يجب البحث عن القوة من حيث هي قوة تمارس قبل أن تتملك وتتجسد ( مادامت لا تمتلك إلا بشكل يتحدد، كما هو الشأن في الطبقة، أو بشكل يحدد، كما هو الحال في الدولة )، تبسط نفسها على الكل، غالبين أو مغلوبين (مادامت تخترق سائر القوى المتواجدة ). إنه موقف نيتشوي عميق.

إن السؤال ما السلطة؟ أو ما مصدرها أو أصلها؟ قد لا يكون في محله، بل ينبغي بالأحرى أن نتساءل عن الكيفية التي تتحقق بها أو كيف تمارس نفسها وتظهر إلى الفعل؟ وتظهر ممارسة السلطة للعيان كعلاقة بين

Twitter: @ketab_n

قوتين، وهي علاقة سجال وصراع وتدافع أو تأثير وتأثر، مادامت القوة تتحدد هي نفسها بقوتها على التأثير في قوى أخرى ( تربطها بها علاقة )، وبقابليتها للتأثر بقوى أخرى (...).

جيل دولوز : المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو. ترجمة سالم يافوت، المركز الثقافي العربي، ط.1 1987. ص. 78/ 77

## 12.II. ضَرورةُ الحرْب

فريدريك نيتشه

إن الطوباويين والسُّذَّج هم الذين لازالوا يعقدون الأمل كثيرا على الإنسانية لما تفقد خبراتها في القيام بالحرب، وفي انتظار حدوث ذلك، لا نعرف وسيلة أخرى تستطيع أن تعيد للشعوب المتعبة تلك الطاقة التي تبدد بفظاظة في ساحة المعركة، ذلك الحقد الدفين اللاشخصي، ذلك الدم البارد الذي يجمع بين القتل والوعي الجيد، تلك الحماسة المشتركة والمنظمة في عملية القضاء التام على العدو، تلك اللامبالاة المزهوة بالهزائم الكبرى وبالحياة الخاصة وحياة من نحبهم، ذلك الارتجاج الأخرس للأرواح والشبيه بالزلازل، والذي يتم بقوة ويقين مثل ما يمكن أن تحققه أية حرب كبرى: فالجداول والفيضانات التي ترى النور، بالرغم من تدحرج حجارة وطين من كل نوع في مجراها وبالرغم من تدميرها لمروج الزراعة التي لا تقوى على الصمود، فإنها تعطي الانطلاقة من جديد -وفي ظروف مواتية- لدواليب ورشات العقل، والتي تستأنف الاشتغال بقوة جديدة. يستحيل على الحضارة أن تستغني عن الأهواء والرذائل وكل أنواع الشر. لما تعب الرومان من شن الحروب، بعد تحولهم إلى إمبراطورية، حاولوا أن يحصلوا على قوة جديدة من صيد الحيوانات المتوحشة، ومن مبارزات المصارعين واضطهاد المسيحيين. أما الانجليز اليوم والذين يبدو أنهم تخلوا أيضا عن الحرب، فقد استعملوا وسيلة أخرى لإعادة خلق هذه القوى التي

Twitter: @ketab_n

تتناقض وهي: الرحلات الاستكشافية الخطرة والرحلات البحرية وتسلق المرتفعات. ورغم القول إنه تم القيام بها لأهداف علمية، فإن هدفها في الواقع هو تمكينهم من المغامرات، ومن مختلف أنواع الخطر ومن قوة إضافية. سيتم اختراع بدائل للحرب من هذا النوع -تحت أشكال متنوعة- ولكن ربما أمكن لهذه البدائل أن توضح شيئا فشيئا، أن إنسانية تكتسب ثقافة بهذا السمو، وتعاني لنفس السبب من التعب مثل حالة أوروبا اليوم، لهي في حاجة ليس فقط للحروب، ولكنها في حاجة لأفظع الحروب -ابتداء بالعودة اللحظية للبربرية- حتى لا تستهلك حضارتها ووجودها نفسيهما في وسائل حضارية».

نيتشه، إنساني مفرط في الإنسانية منشورات دنويل/ غوتيي، 1973، ج 2، ص 148-146

## 13.II. الحربُ قّداسُ الإنسَان

إميل ستارتيي

لا فائدة من وصف الكوليرا بألوان داكنة، لكن من المفيد أن نعرف ما هي الكوليرا. ونفس الأمر ينطبق على الحرب. فالخوف الشديد أو الرعب الشديد لن يعالجانها على الإطلاق. فما هو مفيد هو معرفة دقيقة بها. وبغية توجيه تأملات الجميع أصوغ هذا القول المجمل.

ليس العنف هو الحرب بالمرة. فالجندي لا يشبه أبدا لصّاً يقتل من أجل الاغتناء. ففكرة الحصول على شيء بواسطة الحرب هي فكرة جد ثانوية وضعيفة الأهمية، ولن يكون لها أي تأثير على الناس الذين لم يسبق لهم أبدا أن فكروا في القتل من أجل السرقة، كما هو شأن معظم المواطنين الجنود.

وليست الحرب عنفاً على الإطلاق، بل يستعمل العنف في الحرب كمرحلة، والعنف هو أكثر ما يشمئز منه الذين يقومون بالحرب. وتنظم هذه

Twitter: @ketab_n

الأخيرة في مجموعها حسب الخضوع وليس حسب العنف، بدون حقد ولا غضب ولا عقلية الانتقام.

في الحرب بعد ديني واحتفالي. إنها صلاة الإنسان أو الاحتفال بما يعتبر خاصية للإنسان، لأن الحيوانات الأكثر توحشا تتصرف أولا وفق الحفاظ على حياتها. بمجرد ما يشك الإنسان في شجاعة الإنسان تكون الحرب على الأبواب، بما أنها أمر يأمل في حدوثه الأكثر ضعفا والأكبر سنا، وهم الذين يميلون بطبيعتهم إلى الشك في قدرة النوع البشري. وهكذا يستعد الشباب والأقوياء لتقديم الحجة عبر القيام بالحرب، وهو ما يعتبر أمرا جيدا بالنسبة لهم أيضا.

يقدم الفن العسكري إحساسا بالاحتفال الحقيقي عبر احتفالات تحضيرية، والتي تمكن الإنسان من الإحساس -عبر الفعل والعرض- أنه أكثر شجاعة مما يعتقد.

إذا شك شعب من الشعوب في قدرة جاره إلى حد احتقاره قولا وفعلا، فعليه أن يتحمل الاختبار. فبقدر ما يفترض أنه شجاع وقوي، بقدر ما يكون الاختبار جيدا فتقدير العدو هو ملح الحرب.

ينهي النصر الاختبار، لكن الاختبار جيد أيضا بالنسبة للمهزوم، مادامت الحرب طويلة وفتاكة بالقدر الذي تمكنا من توقعه. وهكذا يعاد الاعتبار للخصمين معا.

**المواطن ضد السلطات**
منشورات سيمون كرا، 1926، ص 71.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

# III . أسبَابُ العُنْفِ وتَجلِّيَاتُه

## 1.III. العنفُ والمقدّس

سورين أباي كيركغارد

واختبر الله أبراهام وقال له: خذ ابنك الوحيد، إسحق، الذي تحبه، واذهب إلى بلد موريجا، وهناك، هبه تضحية كبرى، على جبل سأعينه لك.

... آمن أبراهام ولم يشك قط... فأسرع كما لو أنه ذاهب لحفل، ووصل في وقت باكر للمكان المحدد فوق جبل بموريجا. لم يقل شيئا لسارة ولا لأليعازر. لكن من كان سيفهمه؟ ألم يجبره الإغواء، بطبيعته، على التزام الصمت؟ «قطع الخشب، قيد إسحق، أشعل النار في الحطب، وأخرج السكين».

...لقد اعتقد العديد من الآباء أنهم فقدوا -بفقدانهم لابنهم- أثمن كنز لهم في العالم، وجُردوا من كل أمل في المستقبل، لكن لا وجود لأي ابن جَسَّدَ طفلَ الوعدِ بالمعنى الذي جسده إسحق بالنسبة لأبراهام. العديد من الآباء فقدوا طفلهم، لكن يد الله هي التي أخذته منهم، إرادة العليِّ القدير الدائمة والتي تتجاوز كل إدراك هي التي سلبتهم إياه. لكن الأمر مختلف كل الاختلاف في حالة أبراهام. لقد خُصَّ بأقسى اختبار، ووجد مصير إسحق في يد أبراهام ماسكاً السكين. هكذا كانت وضعية الشيخ الطاعن في السن أمام أمله الوحيد. لكنه لم يشك قط، لم ينظر بعين القلق إلى اليمين أو الشمال، لم يُتعب السماء بدعواته وصلواته. كان يعلم أن العلي القدير يختبره، وكان يعلم أن هذه التضحية هي أقسى ما يمكن طلبه منه، لكنه كان يعلم أيضا أنه لا وجود لتضحية قاسية جدا حينما يطلبها الله،

Twitter: @ketab_n

فاستل السكين.

الخشية والارتجاف، ترجمة تيسو
منشورات أوبي، 1952، ص28-27

## 2.III. العُنْفُ والمقَدّس

جون ميلير

إنها لمفارقة غريبة: فالديانات التي تؤكد على أنها تعبر عن الجانب الروحي للإنسان، أصبحت - لا يمكن إنكار ذلك تاريخيا- هي نفسها هذه الاتجاهات، والعوامل المجسدة للعنف. هذا يعني أنها تندرج تحت لواء الإيديولوجية المهيمنة في مجتمعاتنا، والتي أسميها إيديولوجية العنف الضروري، المشروع و المشرف.

إذا ما أردنا تحديد العنف في كلمة واحدة، أعتقد أنه يتعين تحديدها في ما يلي : اغتصاب الآخر، اغتصاب شخصيته، وهويته، ولتحقيق ذلك ليس من الضروري استخدام سلاح ناري، وتوجيه اللطمات. فالكلام وحده يمكن أنْ يهين الآخر ويعمل بالتالي على اغتصاب شخصيته. أعتقد أن هذا العنف يتناقض مع التوجه الروحي. إنه تناقض جوهري بالنسبة للتطلعات الأكثر عمقا التي يصبو إليها الإنسان.

يتبنى روني جيرار أطروحة عمل خصبة للغاية: إنه يشير إلى أنه في الغالب الأعظم ،نجد أن أصل هذه الصراعات هو التقليد. إن الرغبة هي في الغالب عبارة عن تقليد لرغبة جارنا، وقريبنا. فعندما نريد نحن الاثنين، ونرغب في نفس الشيء، نكون أمام وضعية تنافسية، قد تؤدي إلى خلق وضعية عنف. إن ما يبينه روني جيرار، بالنسبة للمشكل الخاص بالمسيحية، هو أن المسيح رفض تحديدا سيرورة العنف هته. وهذا ما يضفي معنى على كل حياته وموته، إنها بالتحديد إرادته في اللاعنف. لقد ألح على التأكيد بأن المسيح لم يمت لأنه عبر عن إرادته من أجل التضحية، بل لأنه عبر عن

Twitter: @ketab_n

إرادته من أجل اللاعنف.

يبين روني جيرار كذلك، أن الصراع العنيف مؤسَّسٌ على تقليد الخصمين : كل واحد يقلد عنف الآخر، وبالتالي هناك نوع من تداعي العنف لا نهاية له. تقوم الإشكالية الإنجيلية أساسا (مد خدك الآخر) في إيقاف مد آلية العنف. وهي بطبيعة الحال عملية لا تخلو من مخاطرة، لأنه بمدنا للخد الآخر، أخاطر باحتمال تلقي صفعة ثانية. لكن ومع ذلك ، بفضل حالة اللاعنف التي عبرت عنها، يبقى واردا احتمال ثني الآخر، وإرباكه، لأنه كان ينتظر مني رد الاعتبار، فكَوْنِي أرفض القيام بذلك، قد يجعله يتجرد من سلاحه.

(...) يبين لنا تاريخ الأديان، أنه غالبا ما يتم القتل باسم الله. سأقول إن المشكل التيولوجي الكبير، يكمن في مسألة ضبط الكتابة. فكيف نكتب عبارة le Dieu desarmée هل نكتبها في كلمتين إله المسلحين(le Dieu des armées )، أم في كلمة واحدة ( Dieu desarmé ) الإله المجرد من السلاح. وأعتقد تحديدا، أن معيار الإنسان العاقل الباحث عن الله، يكمن في كون الله لا يمكن أن يكون إلاه المسلحين. أعتقد يمكن القول إن المسيح جرد الله من السلاح. أو على الأصح إنه نزع السلاح عن كل الصور الخاطئة عن الله، والتي كونها الإنسان.

وكما نجد في العهد العتيق، هناك رغم ذلك، في زمن محدد، داخل تجربة الشعب اليهودي، فكرة أن الله نفسه يبرر استعمال الناس للعنف. قد يبدو أحيانا أن الله يدعو الناس للعنف. وتعمل المسيحية على ترسيخ هذه الصورة عن الله. هناك أيضا القرآن. عندما يقول لي صديق مسلم، مثلا، ليس هناك عنف أكثر في القرآن من ذاك الموجود في التوراة، و بالفعل إنه يتضمن الكثير من العنف. وعندما يقول لي ليس هناك عنف في تاريخ الإسلام أكثر من العنف الموجود في تاريخ المسيحية، أقول له إن الطامة تكمن في أنه ليس فيه عنف أقل ! لنكف عن لعب كرة الطاولة، حيث

Twitter: @ketab_n

نبعد عنا العنف، ونعمل على تبرير عنفنا تحت ذريعة عنف الآخرين. أعتقد ثمة منازعة حقيقية، ويجب أن نتحدث عن ذلك بكل وضوح. ولكن إذا كان لدينا أصل غربي ومسيحي، وهذا الحوار ليس له قيمة، بل سأقول لن يكون ممكنا، إلا إذا قمنا نحن ذاتنا بخلق قطيعة مع كل ما يبرر العنف في حضاراتنا، وتقاليدنا. لا يمكننا أن ننعت الآخرين بالأصبع، يجب أولا أن ننتقد ذواتنا قبل أن ندخل في أي حوار مع بعضنا البعض.

حوار مع جون ماري ميلر عن الحركة من أجل بديل غير عنيف،
أجرته مجلة «الحوار الجديد»

## 3.III. مَدِيحُ العُنف

جورج صوريل

لما جازفت سنة 1905 بالكتابة -بطريقة معمقة شيئا ما- حول العنف البروليتاري، كنت واعيا تمام الوعي بالمسؤولية الخطيرة التي كانت على عاتقي بإصراري على إبراز الدور التاريخي للأفعال التي يعمل اشتراكيونا البرلمانيون على إخفائها ببراعة كبيرة. ولا أتردد اليوم عن الإعلان بأنه لم يكن بوسع الاشتراكية أن تستمر بدون مديح العنف.

تثبت البروليتاريا وجودها في الإضرابات وعبرها. ولا أقبل أن اختزل الإضرابات إلى شيء يشبه توقفا مؤقتا للعلاقات التجارية القائمة بين بقال وممونه بالخوخ المجفف لأنهما اختلفا حول الأثمنة. إن الإضراب ظاهرة من ظواهر الحرب، ولهذا فالقول بأن العنف أمر عرضي مدعو إلى الاختفاء من الإضرابات هو بهتان عظيم.

فالثورة الاجتماعية هي تعبير عن هذه الحرب التي يعتبر كل إضراب ضخم حلقة من حلقاتها، لهذا يتناول النقابيون هذه الثورة بلغة الإضرابات، والاشتراكية تختزل عندهم في التصور والانتظار والإعداد للإضراب العام، والتي ستفاجئ -مثل معركة نابليونية- نظاما بأسره محكوما عليه

Twitter: @ketab_n

بالزوال.

ولا يتضمن تصورا مثل هذا أيا من التفسيرات الدقيقة التي يتفوق في تدبيجها جوريس. يتعلق الأمر بثورة يتم إبانها طرد أرباب العمل والدولة من طرف المنتجين المنظمين. وسيتم إرسال مثقفينا -الذين يأملون في الحصول على أفضل الأمكنة من الديمقراطية- إلى أدبهم. أما اشتراكيونا البرلمانيون -والذين يجدون في التنظيم البرجوازي الوسائل الملائمة لممارسة جزء من السلطة- فإنهم سيصبحون بدون أية فائدة.

**تأملات في العنف، منشورات صفحات حرة، 1908، ص 372.**

## 4.III. العنفُ الرَّمزِي والهيمنَة الذكورِية

بيير بورديو

تعتبر الهيمنة الذكورية، من خلال الطريقة التي تفرض بها وتخضع لها، النموذج الأمثل لهذا الخضوع المفارق، والناتج عن ما أسميه العنف الرمزي، عنف هادئ غير محسوس،غير مرئي حتى بالنسبة للضحايا أنفسهم. إنه عنف يمارس أساسا بطرق رمزية خالصة في التواصل والمعرفة أو بشكل أكثر تحديدا، في عدم الاعتراف، في الاعتراف وفي الإحساس. إن هذه العلاقة الاجتماعية العادية جدا، تمنحنا فرصة مفضلة للإمساك بمنطق الهيمنة المِمارس تحت اسم مبدأ رمزي معروف ومعترف به من طرف المهيمِن ومن طرف المهيمَن عليه كذلك. يتعلق الأمر هنا بلسان ( أو بتلفظ)، بأسلوب في الحياة ( أو بطريقة في التفكير، أو التكلم أوالتصرف ) وعلى العموم، إنها خاصية مميزة، رمزية أو مادية،والتي تظهر فعاليتها الرمزية أكثر في هذه الخاصية البدنية، وهي خاصية اعتباطية تماما وليست متوقعة، ألا وهي لون البشرة.

*) جورج صوريل: (1847-1922) نقابي ثوري يستلهم في كتاباته كلا من نيتشه وبرودون وماركس وبرغسون، وسوف يلهم بدوره فكر وممارسة موسوليني. والعنف في تصور صوريل له علاقة بإرادة القوة عند نيتشه.

Twitter: @ketab_n

إننا نرى جيدا، انه بصدد هذه الأشياء، يتعلق الأمر أولا وقبل كل شيء، بإرجاع الطابع المفارق للذّوكسا، وفي نفس الوقت العمل على البرهنة على السيرورات المسئولة عن تحول التاريخ إلى طبيعة، وتحويل البعد الاعتباطي الثقافي إلى بعد طبيعي. ولهذا الغرض، يتعين علينا فيما يتعلق بعالمنا الخاص وبرؤيتنا للعالم، أن نتبنى وجهة نظر الأنتروبولوجي القادر في نفس الوقت، على إبراز مبدئيا الفرق الموجود بين الذكوري والأنثوي، والذي ننكر طابعه الاعتباطي، و العارض، و على إبراز كذلك ضرورته السوسيو-منطقية.

(...)إذا صح القول إن مبدأ تأبيد علاقة الهيمنة هته، لا يكمن حقا، أو لا يكمن أساسا، في أحد الأماكن الأكثر مرئية على مستوى ممارسته، ونعني بذلك داخل الوحدة المنزلية، والتي تركز عليها بعض الخطابات النسوانية، بل يتجلى في المؤسسات مثل المدرسة أو الدولة، أماكن بلورة وفرض مبادئ الهيمنة التي تمارس داخل العالم الأكثر خصوصية، إنه مجال عمل ضخم، مفتوح في وجه الصراعات النسوانية،ويتعين عليه أن يحتل مكانة متميزة، ومؤكدة جدا، داخل الصراعات السياسية ضدا على كل أشكال الهيمنة.

سواء تعلق الأمر بالرجل أو المرأة، فقد عملنا على إدراج البنيات التاريخية ذات الطبيعة الذكورية، داخل خطاطات لاواعية، من الإدراك والتقدير؛ وهذا يعني أننا بصدد التفكير في الهيمنة الذكورية، قد نعتمد إذا على أنماط من التفكير هي ذاتها نتاج للهيمنة.

بيير بورديو : **الهيمنة الذكورية**، منشورات سوي، 1998. ص. 11-10-8-7 seuil

## III.5. حَربُ النّوَايَا

ف.نيتشه

لا تعترف أية حكومة اليوم بأنها ترعى جيشها وتنفق عليه لكي تلبي، حينما تحين المناسبة، رغبتها في الغزو. لذلك يقال بأنه يجب أن يستعمل

Twitter: @ketab_n

الجيش للدفاع. ولتبرير هذه الوضعية، تستعمل أخلاق تؤيد الدفاع عن النفس. وهكذا تخص الذات بالأخلاقية ويوصف العدو باللاأخلاقية، لأنه يجب تصور هذا الأخير وهو على أهبة الهجوم والغزو إذا كان على الدولة -التي نعتبر جزءا منها- أن تفكر بحكم الضرورة في وسائل الدفاع. وإضافة إلى ذلك، نتهم الآخر -الذي ينكر، مثلما تفعل دولتنا، نيته في الهجوم، ولا يرعى جيشه وينفق عليه هو أيضا، إلا لدواعي الدفاع، لنفس الدوافع التي نقر بها نحن- نتهمه بأنه منافق ومجرم داهية يريد الانقضاض، بدون خوض أي نوع من الصراع، على ضحية مسالمة عديمة المهارة. في هذه الظروف توجد جميع الدول اليوم في مواجهة بعضها البعض: تقر بالنيات السيئة عند الجار وتتبجح بالنيات الحسنة. ولكن نعثر هنا على لا إنسانية أشأم وأسوأ من الحرب، إنه استفزاز مسبق، بل دافع للحرب، لأن وصف الجار باللاأخلاقية يؤدي إلى إثارة الأحاسيس المعادية. يجب التخلي عن العقيدة التي ترى في الجيش وسيلة للدفاع، والتخلي أيضا وبشكل قطعي عن الرغبة في الغزو، وسيأتي ربما يوم عظيم يتمكن فيه شعب يتميز في الحرب والانتصار بأعلى درجة من الانضباط والذكاء العسكريين، ومعتاد على أقسى التضحيات ويقبل بها، من النداء بحرية: «الآن نترك الجندية» محطما بذلك مجموع تنظيمه العسكري في أسسه. حين يصبح المرء مسالما، في الوقت الذي يكون فيه الأكثر خشية، موجها إحساسه بسمو، يبرهن بذلك أن هذه هي الوسيلة التي تقود لتحقيق السلم الحق الذي يجب أن يقوم دوما على ترتيب لعقل هادئ، بينما ما يدعى بالسلم المسلح، كما هو مطبق الآن في جميع البلدان، يستجيب لميل للنزاع، لانعدام الثقة في الذات وفي الجار، ويحول دون التخلي عن الأسلحة إما بسبب الكراهية أو بسبب الخوف الرهيب. بل يفضل الناس الموت على الكراهية والخوف الشديد، ويفضلون الانقراض مرتين على أن يكرهوا من طرف الآخرين، كما أنهم يخشون كارهيهم. يجب أن يصبح هذا القول مثالا أعلى لكل

Twitter: @ketab_n

مجتمع. نعرف أن ممثلي الشعب الليبراليين لا وقت لهم للتفكير في طبيعة الإنسان: وإلا لكانوا عرفوا أن عملهم الهادف إلى النقص التدريجي من الأعباء العسكرية لا جدوى منه، بل على العكس من ذلك، كلما كان هذا النوع البئيس كبيرا، كلما كان النوع العظيم -الذي وحده بإمكانه المساعدة- قريبا جدا. فشجرة النصر العسكري لا يمكن القضاء عليها إلا بضربة قاضية، ضربة صاعقة: لكن الصاعقة كما تعلمون تأتي من الأعالي».

المسافر وظله، ترجمة هنري ألبيرمنشورات دنويل/ غوتيي، 1975، ص 286

## 6.III. التّطرُّف الدِّيني والأُصُولية الجديدَة

أوليفيي روا

إن الأصولية الجديدة مهووسة بالعودة إلى «الإسلام الحقيقي». إنها تريد أن تطهر ممارسات المؤمن من كل ما لا يرجع إلى الإسلام، وهي بذلك تحدد صورة مجردة للمسلم، والذي ستبقى ممارسته هي هي بغض النظر عن المحيط الثقافي والاجتماعي. وبهذا المعنى، تصبح الأصولية الجديدة عبارة صراحة عن عامل لخلخلة الهوية الثقافية، بحيث إنها تجهد نفسها من أجل تطهير إيمان المؤمن واختزال ممارساته في مجموعة من الطقوس المغلقة، ومن الواجبات والممنوعات، والتي تقطع مع فكرة الثقافة ذاتها، وعلى الخصوص مع الثقافة الأصلية، والتي ينظر إليها سلفا على أنها انحرفت عن إسلام أصلي هو نفسه يتعين العمل على إعادة بنائه. إنها لا تهتم أكثر بتاريخ العالم الإسلامي : ففي أحسن الأحوال إن هذا التاريخ لم يضف شيئا لمرحلة السلف، وفي أسوأ الأحوال كان هذا التاريخ مليئا بالفساد والانحطاط. ففكرة الحضارات الكبرى(الخلافة العباسية، الأندلسية، الإمبراطورية العثمانية) لا معنى لها، لأن أساس أصالتها يفصلها تماما عن النموذج الأصلي (إن هذا الموقف هو الذي يسمح للمسلم المعاصر بالتحرر من خطاب النوسطالجيا والفشل : لماذا انتصر الغرب؟).

Twitter: @ketab_n

لاتهتم الأصولية الجديدة بالثقافة، بقدر ما تهتم بتحديد تقنين متجانس ومتكيف مع كل مجتمع. إنها لا تؤمن بالتداخل الثقافي والتعددية الثقافية، بل إنها تنكر ما هو ثقافي. إنها تنصب نفسها أولا وقبل كل شيء كتقنين للسلوك مؤسس على الحلال والحرام. فالإسلام الذي يتجاوز الحدود الوطنية لا يمكن أن يندمج في منطق التعددية الثقافية، لأن الأمر لا يتعلق بثقافة مستوردة، بل بإعادة بناء تنطلق من تجاوز الحدود الوطنية. وهذا ما يفسر كذلك لماذا لا يتم الاندماج بالضرورة عن طريق البعد الدنيوي أو عن طريق تبني قيم واضحة مشتركة مع مجتمع المستقبل. إننا هنا بصدد منطق ديني يشتغل على طريقة الطائفة وليس على طريقة كنيسة كونية. تساهم الأصولية الجديدة في ظاهرة الكوكبية، بالمعنى الذي نجد فيه أن الهويات التي تعمل على إنتاجها تتجاهل الأوطان والثقافات، وتتأسس على اختيار فردي وتستند على مجموعة من السمات المميزة ذات المحتوى الضعيف والحافلة بالمقابل بقيم مفارقة بشكل كبير.

هكذا فالإسلام المطهر يصبح في الواقع، متلائما مع أي سياق اجتماعي، شريطة العيش داخل جماعة متخيلة. إن الأصولية الجديدة هي بكل وضوح نتاج وسبب في خلخلة الهوية الثقافية للمجتمعات المسلمة، وهذا ما يفسر نجاحها وإشعاعها الدولي المتجاوز للإنتماء الوطني. فإذا كان بإمكان بعض شباب «البور» بالضاحية الالتحاق بالطالبان، فذلك ليس بسبب الشخصية الكاريزمية لبن لادن، بل لأنهم يعيشون داخل فضاء مشترك : أي ذاك الذي يتعلق بخلخلة الهوية الثقافية التي يتعرضون لها والتي يحولونها إلى مشروع هادف لإعادة التأسيس. إن ما يستهدفونه ليس هو الثقافة الغربية ( التي يحتقرونها ) بقدر ما هو مفهوم الثقافة في حد ذاته».

أوليفي روا، **الإسلام المعولم**، ترجمة عزيز لزرق، مركز طارق بن زياد، 2004، ص.125/126.

Twitter: @ketab_n

## III.7. الغَوربة والعنْف

أوليفيي روا

إن المتطرفين الأوائل يريدون تجذير عنفهم في عمق تقليد إسلامي يختلقونه أكثر مما يعيدون اكتشافه كما يزعمون. ولكنهم يقومون بذلك في الغالب بشكل يجعله يبدو لنا حقا كتجديد، وثالث الأثافي بالنسبة للأصوليين هي : الأولوية التي يعطونها للجهاد، بحيث يجعلون منه فرض عين، بمعنى أنه مفروض على كل واحد وفي كل لحظة، بينما اعتبر التقليد الإسلامي دائما أن الجهاد هو فرض كفاية، يعني محدود في الزمن والمكان ويتوجب على أولئك الذين يهددهم العدو. وبعيدا عن أن يكون تعبيرا جماعيا، فإن العنف الممارس باسم الاسلام اليوم يقال ويمارس على أساس التزام فردي. إن هذا الاستثمار الفائق للجهاد هو شيء حديث (...) إن حدة غموض الأصولية الجديدة التي تتبنى هذه الفكرة، يتمثل في كونها تنعت بكونها جماعة جهادية.

في الواقع، غالبا ما نلاحظ أن أغلب الصراعات المعاصرة تستخدم المسلمين. لكن المقاربة الأكثر دقة هي تلك التي تبين على ان القاعدة العامة المتحكمة في الصراعات ليست أبدا محددة بالإسلام، حتى وإن كان هذا الأخير يعمل على تحديدها بشكل متضافر. فالصِّرب جعلوا من عامل الإسلام الذريعة الأولى في هجومهم على البوسنيين، ولم يستخدموا نفس الذريعة في الاعتداء على الكرواتيين : في كلتا الحالتين، فإن الصراع في الواقع ذو طبيعة إثنية – وطنية، مثلما كان عليه الأمر بالنسبة لكوسوفو سنة 1999، حيث وجد السلافيون والغجريون أنفسهم محشورين في المعسكر الصربي، بينما جابه الألبانيون المسيحيون في صف المسلمين. صحيح أن الفاعلين أنفسهم يراهنون أحيانا على تعبئة رمزية الإسلام لخدمة قضيتهم، لكن صراع الشيشان مثلهم مثل الفلسطينيين هو قبل كل شيء صراع من

Twitter: @ketab_n

أجل تحرير شعب. ففي فلسطين، نجد أن كلا من المسيحيين أو اللائكيين هم معنيون مثلهم مثل المسلمين بالقضية، بما في ذلك القيام بالعمليات الانتحارية. كما نجد أن كل الصراعات في أندونيسيا، هي ذات طابع إثني. فعندما تجعل هذه الصراعات المسلمين في تعارض مع السلطة المركزية (المطالبة باستقلالية السيخ) لا أحد يتحدث عن الإسلام، ولكن عندما يكون هناك تعارض بين إثنية مسيحية وأخرى مسلمة، نسرع إلى الحديث عن حرب الديانات. هذا ما يعزز وجود ظاهرتين : أولوية التحديدات الإثنية والوطنية، ولكن استخدام كذلك أنواع الجهاد الهامشية من طرف الأصوليين الجدد من أجل تجسيد غيابيا، مفهوم الأمة الكونية.

أوليفي روا، **الإسلام المعولم**، ترجمة عزيز لزرق، مركز طارق بن زياد، 2004، ص.20/ 19

## 8.III. العنفُ ونزعةُ الاستحوَاذ

إدغار موران

كان كارل ماركس يقول عن حق : «يبدو أن إنتاجات الدماغ البشري تتمتع باستقلال كامل وتتوفر على أجساد خاصة تجعلها تتواصل بشكل دائم مع البشر، وتتواصل فيما بينها كأجساد». أكثر من ذلك، إن المعتقدات والأفكار ليست فقط إنتاجات فكرية ولكنها أيضا كائنات فكرية تتمتع بكامل الحياة والقوة. بهذا المعنى فهي قادرة على أن تستحوذ علينا.

يجب أن نكون واعين بأن فلك الأشياء الفكرية ظهر إلى الوجود منذ فترة طويلة جدا، منذ فجر الإنسانية. إن ظهور الأساطير والآلهة والانتفاضة الهائلة للكائنات الروحية سيدفع الكائن العاقل إلى ممارسة الهذيان والقتل والبشاعة والحب والنشوة، وهي أمور مجهولة لدى العالم الحيواني. ومنذ ذلك الحين ونحن نعيش في قلب غابة الأساطير. إن فلك النظريات يمتح وجوده كليا من أرواحنا ومن فكرنا، إنه يوجد بداخلنا كما أننا نوجد بداخله. لقد تشكلت الأساطير وأصبحت قائمة الذات وذات واقع فعلي انطلاقا

Twitter: @ketab_n

من استيهامات أحلامنا وتخيلاتنا. بينما تشكلت الأفكار وأصبحت قائمة الذات وواقعية انطلاقا من الرموز والأفكار التي أنتجتها عقولنا.

ثم عادت الأساطير والأفكار لتغزونا وتستحوذ علينا وتمنحنا الحب والكراهية و النشوة والعنف. إن بشرا تحت قبضة أساطير وأفكار لقادر على القتل أو الموت من أجل إله أو فكرة. وفي فجر الألفية الثالثة – ومثلما كان عليه حال الإغريق مع شياطينهم الأسطورية والمسيحيين مع شياطينهم الإنجيلية – لازالت شياطيننا «الفكرية» تجرفنا وتستحوذ على وعينا وتجعلنا لاواعين مع منحنا الوهم بأننا نمتلك وعيا فائقا.

تُخضِع المجتمعاتُ الأفرادَ بواسطة الأساطير والأفكار التي ترتد بدورها على المجتمعات لتُخضِعهَا. ولكن بإمكان الأفراد التحكم في أفكارهم ومراقبة المجتمع الذي يراقبهم. ومع ذلك لازال هناك مكان لبناء علاقة تكافلية في قلب هذه اللعبة المعقدة ( لعبة تكاملية- تعارضية- لايقينية)، لعبة الاستعباد/ الاستغلال/ التشويش المتبادل بين المحافل الثلاثة ( الفرد، المجتمع، فلك النظريات ).

(...) لا ينبغي تسخير أية فكرة أو نظرية، كما لا ينبغي لأية فكرة أن تفرض أحكامها بطريقة سلطوية. يجب إضفاء الطابع النسبي على الفكرة، يجب ترويضها. ينبغي للنظرية، كيفما كانت أن تساعد وتوجه عمل الاستراتيجيات المعرفية الخاصة بالذوات البشرية».

إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي. دار توبقال للنشر ، 2002، ص 29/30

## III.9. الحربُ أو أقصَى درجاتِ العنْف

غاستون بوتول

الحرب ذروة العدوانية الجماعية، هي الظاهرة الأكثر غرابة والأكثر فرادة أيضا بين كل الظاهرات الاجتماعية، إذ تتصف بميزات خاصة تمنعنا من

Twitter: @ketab_n

أن نخلط بينها وبين باقي مظاهر العنف أو الأعمال العدوانية. لذا نستطيع القول إن حياة كل المجتمعات الإنسانية المنظمة تتأرجح بين عالمين، حيث تأخذ مكانها بالتناوب. العالم الأول عو عالم العمل والادخار والتقتير وتحريم أعمال العنف، وخاصة أعمال القتل، والثاني هو على عكس الأول، عالم القتل المنظم والمدبر وعالم الطقوس، طقوس التدمير والهدم.

(...) لكن الحرب أساساً، هي ظاهرة معقدة تتضمن بالتالي مظاهر عدة. فهناك العديد من العوامل التي تسهم في تكونها وفي إنضاجها، وحالها حال الكثير من الظاهرات الاجتماعية البارزة في أهميتها، وادعاء تفسير الحرب بعامل من عواملها، أو الأخذ بعين الاعتبار أحد مظاهرها فقط، ما هو إلا تبسيط اعتباطي. لكن الإحساس بتعقد هذه الظاهرة لا يستبعد ضرورة الدراسات الوافية للإحاطة بهذه الظاهرة، وأحيانا دراستها من أحد جوانبها وتقسيمها للوصول إلى فهمها بشكل أفضل.

(...) إنه ليصعب علينا أن نتصور حال عالم تستبعد منه الحروب نهائيا، فهذا الأمر قد يطرح على كل حال بعض المسائل الخطيرة : بماذا نستبدل هذه الوظيفة التي تتلازم، حتى اليوم، مع الحياة الاجتماعية؟ وما هي البدائل التي يمكن أن تحل محلها؟ في أي اتجاه يمكن أن نحول العدوانية الجماعية، وأين نجد لها الغذاء؟ إن لكل الناس في قرارة نفوسهم، هدفا من الحروب التي تغفو، لكن ما إن يتحقق هذا الهدف حتى تصيبهم النشوة.

إن حضارتنا – مثلها مثل سابقاتها من الحضارات – تعيش في سحر العنف والعدوانية. هذا السحر هو مصدر المشاعر المتضاربة والعنيفة».

من مقدمة كتاب فاوستو أنطونيني، **عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية**، ترجمة نخلة فريفر، معهد الإنماء العربي 1989، ص.10/ 8/ 7

Twitter: @ketab_n

## III.10. ظواهرِّية العدوانِيّة

فاوستو أنطونيني

تعبر العدوانية عن نفسها من خلال رموز أقل دلالة تشكل المعادل الطقسي البديل الذي تعتمده الحيوانات : إبراز دلائل الهبة والنفوذ (سيارة، مساكن، مكاتب، ملابس، حلي...) التي ترهب الآخرين (وهي شبيهة بالألوان والريش المشعث التي يظهرها بعض الحيوانات)، وينسكب النظر بثبات وعناد في نظر الآخر ( نظر الأعلى مرتبة الذي يسبر بشدة أعماق المرؤوس ويوجه إليه الإنتقادات)، وقد يلجأون إلى مقارنات تذل، ويذكرون بالفروق الطبقية.

على صعيد الظواهرية الذاتية، تنكشف العدوانية من خلال الشعور بالتهديد غير الواضح ( الغم والسويداء ) أو الواضح ( الخوف ) الذي يعقب محاولة تجاوز هذا التهديد. للوهلة الأولى تتخذ المعركة المراد خوضها معنى ومظهرا مزعجا ومتعبا، كما لو أننا أمام خطر داهم أو أمام مأزق ( تحملنا المعركة على الخوف من الخسارة، وكذلك رفض المعركة يحملنا على الخوف من الأضرار ).

لكن في وقت لاحق، تصبح المعركة أمراً لا غنى عنه، وضروريا ومفيدا وطبيعيا. وتبدو كأنها قانون الحياة وواجب البقاء والاستمرار، ولابد من كسبها بأي ثمن ( فالحق إلى جانب المنتصر، والويل للمنهزمين ! ) إذ تصبح وبسرعة محط تمجيد وتعظيم وسمو ورفعة وغاية في ذاتها (...) فأولئك الذين لا يتخلصون إلا من جزء من عدوانيتهم بعد إثارة، يقعون فريسة لتوتر عصبي مفرط، المظهر المرضي المزمن لنعوظهم النفسي(erection psychique).

لدى الإنسان ملكة الضبط أو الحفاظ على وقع المثير هي أكبر منها بكثير عند باقي الكائنات في العالم الحيواني. وتميل العدوانية وطقوسها

Twitter: @ketab_n

( التوافق أو التسوية ما بين العدوانية والخشية ) إلى أن تتحول إلى أمراض مزمنة وإلى أن تستبطن، تتحول العدوانية إلى حقد. ومثله مثل العدوانية، يعبر الحقد عن نفسه أيضا بدلالات ورموز وظواهر جسدية. فالإنسان هو كل، وكونه كذلك فهو يعبر عن ذاته في كل فعل من أفعاله: الأكل، النوم، الكتابة، التفكير، الحب، ممارسة الجنس. ولدلالات العدوانية – الحقد مظهران رئيسيان، يتميزان بالتنوع والفروق: التصلب والاضطراب.

(...) يشكل الشعور بالضجر مرحلة لاحقة من مراحل العدوانية ( الموجهة نحو الذات أو نحو الآخر )، في المسار الذي يبدأ بالاضطراب الحركي ليصل إلى التصلب : نحن نعلم أن الإنسان الذي في لحظة غضب، يمتقع لونه ويتشنج، هو أخطر بكثير من الإنسان الذي يبدأ بالزعيق والاحمرار والاهتياج.

(...) إن ظاهرة التماهي المعروفة، التي لاتفهم في وجهها الصحيح إلا نادرا، يمكن أن تندرج، عن طريق التصلب، في ظواهرية العدوانية. بالطبع هناك عدة مستويات من التماهي، لكننا لن نذكر هنا سوى أهم مستويين : الأول وهو الأقدم، يرتبط بالطفل في سني وجوده الأولى، عندما يميل إلى الاندماج بكل شيء، مقيما مع العالم رابطا ذا طابع فموي : إنه يأكل كل شيء دون استثناء.

(...) والثاني هو المحاكاة، وهي تخفي الكثير من العداء وشعور النقص والتنافس والخوف. زد على ذلك أن أول من يستبسل ضد النموذج – الرئيس – إذا سقط، هم أنصاره الذين حاكوه أفضل محاكاة واقتفوا خطواته. إنه اقترف «خطأ» في سقوطه، وبالتالي لن يهابه أحد بعد اليوم، ولن يؤمن الطمأنينة والأمان والقوة لمن يحاكيه. وهكذا نرى أن عملية التماهي الميكانيكية تدخل في ظواهرية العدوانية تحت ستار «التصلب».

عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر، سلسلة الكتب العلمية 10.
معهد الإنماء العربي، 1989، ص.94/ 93/ 92/ 91

Twitter: @ketab_n

## III.11. الأنماطُ الثقافيَة للعُنْف

باربارا ويتمر

ما الأنماط الثقافية للعنف؟ إن أنماط العنف هي معتقدات تفصح، على نحو رمزي في الأغلب، عن المواقف السائدة في الثقافة. إنها أكثر من أسطورة منفردة تحكي قصة أو حكاية واحدة. فالأنماط هي مجموعة من المعتقدات؛ قالب عقلي ثقافي، إطار يعبر عن نمط المعتقدات والمواقف والسلوك، والخطب، والممارسات في المجتمع. إن أنماط العنف هي مجموعة من المعتقدات التي تفصح عن المواقف اتجاه العنف في الثقافة الغربية. فالعنف تعريفا هو خطاب أو فعل مؤذ أو مدمر يقوم به فرد أو جماعة ضد أخرى. تشتمل أنماط العنف على أسطورة البطل، وديناميكية استغلال القاتل / الضحية، وثنائية العقل / الجسد، وأسطورة الكوبوي، وأسطورة الفردية التنافسية، ونظرية العنف الفطري، و أسطورة العدوان الذكوري، والمجمع الصناعي العسكري، والحتمية التكنولوجية، (خاصة التكنولوجيا المدمرة)، وإخضاع النساء، وأسطورة تفوق العقلانية على العاطفة والإبداع، وأسطورة نخبوية الجنس البشري. كما تتضمن أنماط العنف تلك الآثار المبعثرة للصدمة في الخيال الثقافي الغربي.

تعبر أنماط العنف عن العلاقة بين الإنسان والجماعة بطريقة معينة. إن جوهرها هو الإعتقاد القائل إن الأفراد عنيفون بفطرتهم، ومن هنا تتطلب السيطرة عليهم وجود بنى جماعة خارجية. بعدها يصبح النظام الثقافي قادرا على تشريع العنف وعقلنته واستخدامه ضد «الناس العنيفين» كأداة سيطرة اجتماعية. وهكذا يصبح النظام الثقافي بنية «استخدام للعنف من أجل العنف» تعزز ذاتها وتديمها. وباسم البقاء الثقافي، تتمكن الثقافة من إدراج العنف والصراع المدمر تحت عنوان الأمن الثقافي وحماية المواطنين من أنفسهم.

Twitter: @ketab_n

(...) من هنا تشير السيطرة الاجتماعية المنظمة إلى جملة من الظواهر الاجتماعية وإلى التطبيقات الصريحة والضمنية للسيطرة على السلوك الاجتماعي / الإنساني ضمن ثقافة ما. إن أنماط العنف هي مجموعة رمزية من أشكال السيطرة الاجتماعية المرئية وغير المرئية اتجاه العنف، يتم الإفصاح عن آثارها والفرضيات ورائها في نمط من المعتقدات، والمواقف، والتصرفات الثقافية.

باربارا ويتمر، **الأنماط الثقافية للعنف**، ترجمة ممدوح يوسف عمران. عالم المعرفة، العدد 337، مارس، 2007 . ص.12/ 11 / 13

## III.12. مَشْرُوعِيَّة العُنْفِ

باربارا ويتمر

إن استخدام الإكراه من قبل فرد أو جماعة قد يصنف «عنفاً» أو «سلوكا عنيفا»، عندما لا يكون مشرعا بواسطة القيم والأعراف الاجتماعية. يصبح نعت شخص بأنه «عدواني... بمنزلة لوم على فعل غير معياري، مما يكلف الفاعل ثمنا اجتماعيا». إن القيمة التقديرية للتكاليف الاجتماعية قد تكبح الفاعل عن المشاركة في سلوك عنيف أو إكراه. قد يستخدم الفاعل الإكراه حتى إن كانت التكاليف منخفضة، أو كان الهدف قيما جدا. ويمكن أن تستخدم «تقنيات إدارة الانطباع» لإعفاء الفاعل عن المسؤولية، وتحويل اللوم إلى الضحية، كما يحصل غالبا في الاعتداء على الزوجة.

تزداد فاعلية الإكراه، وتختفي الانطباعات السلبية المقترنة باستخدامه عبر تشريع الفعل. إذ ليس عدد العقوبات أو حجمها هو الذي يقود المراقبين للنظر إلى سلوك الإكراه وكأنه عدوان، وإنما هو خرق للمعايير أو فقدان للمسوغ (...) يمكن التفريق بين العنف المبرر والعنف غير المبرر، وبين السلوك العنيف وغيره من أنواع السلوك. بالنسبة إلى فرويد، تحاول الحضارة منع الإفراط في «العنف القاسي» عبر إعطائها لنفسها الحق باستخدام العنف

Twitter: @ketab_n

ضد المجرمين. ويميز فرويد العنف الشرعي، بوصفه حقا للسلطة المقبولة اجتماعيا كي تسيطر على العنف غير الشرعي وغير المصادق عليه اجتماعيا لدى الفرد، وبالتالي المهدد للمجتمع.

يشير تقسيم العنف إلى سلوك شرعي وسلوك غير شرعي، إلى التعارض بين الحق الاجتماعي -الذي يقره القانون والمكانة والعادة أو القبول الاجتماعي -وبين التبرير الأخلاقي- الذي يقره الاحتكام إلى التعاليم الدينية، والمبادئ والحجج الأخلاقية، أو الأحكام الأخلاقية الإرادية. إذ يمكن لشخص في موقع سلطة قانونية أن يقوم بفعل شرعي ولكن غير أخلاقي، بالمقابل يمكن أن يقوم عضو مبدئي في مجموعة اجتماعية محسوبة شريرة بعمل غير شرعي، ولكنه أخلاقي.

تتحكم العقيدة في تقييم شرعية العنف أو عدم شرعيته. تتفاوت المعتقدات والتقيمات بخصوص العنف تبعا للزمان والمكان والبيئة، حيث تتلازم المعتقدات، بوصفها تعريفات إدراكية، مع التقييمات، بوصفها تخمينات مرغوبة. وهكذا قد يخفي التقييم الإيجابي لعمل معين أي إشارة إلى العمل بوصفه عنيفا؛ كما أن القبول بتعريف للعنف يتضمن «سوء تغذية الأطفال نتيجة الفقر» قد يؤدي إلى زيادة التقييم السلبي لتوزيع الدخل ضمن المجتمع. من هنا تصبح عملية تمييز مشرعية عمل ما على عدم مشروعيته عملية تعريفية أو تصنيفية مثلها مثل الوصف أو التسمية.

باربارا ويتمر، **الأنماط الثقافية للعنف**، ترجمة ممدوح يوسف عمران. عالم المعرفة، العدد 337، مارس، 2007 . ص.75/ 74

Twitter: @ketab_n

## III.13. العنفُ كتَجلٍّي للصِّرَاع الطّبقِي

ماركس - إنجلز

إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذه، هو نتاج للصراعات الطبقية، صراعات اتخذت حسب العصور أشكالا مختلفة. ولكن كيفما كان الشكل الذي اتخذته هذه الصراعات، فاستغلال جزء من المجتمع من طرف الجزء الآخر، هو قاسم مشترك بين كل القرون السابقة. وإذن ليس من المفاجئ ما إذا كان الوعي الاجتماعي لكل القرون، رغم كل تغيراته وتنوعاته، يتجلى في بعض الأشكال المشتركة، أشكال من الوعي لا تنمحي كليا إلا إذا حدث زوال تام للصراع الطبقي.

إن الثورة الشيوعية هي القطيعة الأكثر جذرية، مع النظام التقليدي للملكية؛ وليس شيئا مفاجئا أن تقطع الثورة، خلال مسار تطورها، مع الأفكار التقليدية بشكل جذري جدا. ولكن لنترك جانبا الاعتراضات التي توجهها البرجوازية للشيوعية. لقد رأينا سابقا، أن المرحلة الأولى في الثورة العمالية، هي تأسيس البروليتاريا كطبقة مهيمنة، يتعلق الأمر بالفتح الديمقراطي.

تعتمد البروليتاريا على سيادتها السياسية، لكي تنتزع الرأسمال من أيدي البرجوازية، وتعمل على مركزة كل أدوات الإنتاج في أيدي الدولة، يعني أيدي البروليتاريا المنظمة في شكل طبقة مهيمنة، ولكي ترفع بسرعة من كمية القوى المنتجة. وهذا لن يتأتى بطبيعة الحال، في البداية، إلا بواسطة انتهاك مستبد لحق الملكية ولنظام الإنتاج البرجوازي، يعني بواسطة اتخاذ تدابير تبدو على المستوى الاقتصادي، غير كافية وغير مدعمة. ولكنها وخلال مسار حركة الثورة، تُتجاوز ذاتها، ذلك أنها ضرورية كوسيلة لخلخلة نمط الإنتاج ككل. وبطبيعة الحال، فهذه التدابير ستكون مختلفة جدا داخل مختلف البلدان (...)

Twitter: @ketab_n

ما إن تختفي الصراعات الطبقية، خلال مسار التقدم، علما بأن الإنتاج متمركز ككل في أيادي الأفراد الشركاء، حتى تفقد السلطة العمومية طابعها السياسي. إن السلطة السياسية، بالمعنى الخالص للكلمة هي السلطة المنظمة لطبقة تعمل على قمع طبقة أخرى. وإذا كانت البروليتاريا، في صراعها ضد البرجوازية، تتشكل بالضرورة كطبقة، وإذا كانت تنصب نفسها بواسطة الثورة كطبقة مهيمنة، وباعتبارها طبقة مهيمنة مدمرة بالعنف للنظام القديم في الإنتاج، فإنها علاوة على ذلك تعمل في نفس الوقت على تدمير شروط صراع الطبقات، إنها تدمر الطبقات عموما، وبالتالي، تدمر هيمنتها الخاصة كطبقة.

وعوض المجتمع البرجوازي القديم، بطبقاته وبصراعاته الطبقية، يظهر نوع من المجتمع، يكون فيه التقدم الحر لكل واحد هو شر ط التقدم الحر للجميع.

ماركس – إنجلز : **البيان الشيوعي**، منشورات التقدم، موسكو، 1981، ص. 55-54

Twitter: @ketab_n

# IV . العُنْفُ ومسَارُ الإنسَانِيّة

## 1.IV. الحوارُ أو العُنْف

إيريك فايل

إن المشكل الذي يواجه في الحقيقة من يبحث عن طبيعة الحوار ليس إلا مشكل العنف ونفي العنف. إذ ما الذي يجب توفره ليوجد حوار؟ لا يسمح المنطق إلا بأمر واحد وهو أنه بمجرد بدء تحقق الحوار يقود إلى القول مَن مِن المتحاورين على صواب، أو بتعبير أدق مَن منهما على خطأ: إلا إذا كان من المؤكد أن الذي يتناقض في قوله هو المخطئ، فإنه لم يبرهن البتة أن الذي برهن له على ارتكابه لهذا الجرم الوحيد ضد قانون الخطاب ليس مخطئا هو أيضا، رغم تمتعه بامتياز وحيد ومؤقت، وهو أنه لم يفحم بعد. فالمنطق، داخل الخطاب، ينقي الخطاب من الشوائب. لكن لماذا يقبل الإنسان وضعا يمكن أن يفحم فيه؟ إنه يقبل ذلك الوضع لأن الحل الآخر الوحيد هو العنف إذا استثنينا، كما فعلنا ذلك، الصمت والامتناع عن التواصل مع جميع الناس: فحين لا نتبنى نفس الرأي، يجب التوصل إلى اتفاق أو اللجوء إلى الصراع، لا أن تختفي إحدى الأطروحتين ويختفي من دافع عنها. وإذا لم نقبل هذا الحل الثاني، فيجب اختيار الحل الأول، كلما تعلق الحوار بمشاكل جدية وهامة، أي تلك التي عليها أن تقود لإحداث تغيير في الحياة أو التشبث بطابعها التقليدي ضد هجمات المجددين.

وبتعبير أوضح، لما لا يكون الحوار مجرد لعب (يفهم كصورة لما هو جدي) فإنه يتعلق دوما في آخر المطاف بالكيفية التي يجب أن يعيش وفقها كل واحد.

والمقصود بكل واحد الناس الذين يعيشون في جماعة وقد امتلكوا

Twitter: @ketab_n

هذه المعطيات الضرورية ليتمكنوا من ممارسة الحوار، الناس الذين قد اتفقوا على الأساسي، والذين لا يحتاجون إلا لبلورة جماعية لنتائج أطروحات سبق لهم أن قبلوها جميعا. فهم يختلفون حول طريقة العيش: فالأمر لا يتعلق إلا بتكملة وتدقيق. فهم يقبلون الحوار لأنهم استبعدوا العنف قبل ذلك.

**منطق الفلسفة**، ط 2، منشورات فران، 1961، ص 24.

## 2.IV. النِّهَايَةُ السياسيّة للعُنْفِ

إيمانويل كانط

حتى وإن أدى عنف ثورة، نتجت عن دستور معيب، إلى تبني دستور أكثر انسجاما مع القانون، وهو أمر لا شرعي بطبيعة الحال، فإنه لا يجب مع ذلك اعتبار فرض الدستور السابق على الشعب مرة أخرى أمرا مشروعا، بالرغم من أن كل الذين قد ساهموا في تلك الثورة باستعمال العنف أوالحيلة يستحقون العقاب المخصص للمتمردين. فالحكمة السياسة تعتبر أنه من واجبها، في وضعية مثل هذه، القيام بإصلاحات تتلاءم مع مثال الحق العمومي، أما فيما يخص الثورات، فلا يجب استعمالها كنداء طبيعي لإقامة دستور شرعي اعتمادا على إصلاح عميق، دستور يقوم على مبادئ الحرية، لأنه هو الأمر الوحيد القادر على الاستمرارية».

مشروع للسلم الأبدي

ترجمة ج. جيلان، 1975، ص 61-60

Twitter: @ketab_n

## 3.IV. العنفُ داخلَ ثقافتِنَا المعاصرة

جان بودريار

ما هي الأشياء التي تشهد اليوم صعودا قويا؟ إنه الإرهاب كشكل عبر سياسي، والسيدا والسرطان كشكل مرضي، والعبر جنسي والتنكري كأشكال جنسية وجمالية. بشكل عام، هذه هي الأشكال الوحيدة التي تخلق الإثارة اليوم. فلا التحرر الجنسي ولا النقاش السياسي، لا الأمراض العضوية ولا حتى الحرب التقليدية لم تعد تثير أحدا ( وهذا أمر مفرح في حالة الحرب، فحروب كثيرة لن تقع لأنها لن تثير أحدا ). إن الاستيهامات الحقيقية توجد في مكان آخر، أي في الأشكال الثلاثة المذكورة الناجمة كلها عن اختلال أساسي في اشتغال أنظمة السياسي والجيني.

إنها كلها أشكال جرثومية، مولدة، لامبالية تماما بما يجري في الواقع، تنمو وتتكاثر في استقلال جذري عن الواقع، بفعل العنف الجرثومي والمعدي للصور. إننا نعيش داخل ثقافة توظف الدلائل والصور لتشع بها الأجساد والعقول. وإذا كانت هذه الثقافة تنتج أجمل الآثار فلا يجب أن نفاجأ إذا ما أنتجت بالمقابل الجرائيم الأشد فتكا. إن ثقافتنا لا تشع الأجساد فقط ( وهو المسار الذي بدأ مع هيروشيما ) ولكن أيضا، وبشكل متواصل، وسائط الاتصال والدلائل والبرامج والشبكات.

إننا في الواقع نحيا وسط كم هائل من الأحداث العرضانية المخترقة للقارات والدول والأفراد والمؤسسات، أقصد أحداث وبنيات الجنس والمال والإعلام والاتصال. ومن جهة أخرى، تشكل السيدا أو الانهيار المالي أو الجرائيم الإليكترونية والإرهاب بنيات غير قابلة لأن تأخذ مواقع بعضها البعض. ومع ذلك، فهي توجد في مجموعة قواسم مشتركة : فالسيدا نوع من انهيار القيم الجنسية، والحواسيب التي لعبت دورا جوهريا في تسريع

Twitter: @ketab_n

انهيار بورصة وول ستريت توجد هي ذاتها تحت رحمة القيم المعلوماتية التي تسبب الحواسيب في انهيارها (...)

لا شيء أقرب إلى الإرهاب داخل مجتمعاتنا المريضة ( بماذا؟ هل بالحقن المفرط بالسعادة والطمأنينة وبإيديلوجيا الاستهلاك والإعلام والاتصال؟ أم بفعل انهيار الأنظمة الرمزية وقواعد الاجتماع الأساسية؟ من يدري؟ ) من السيدا أو من عملية بيع شركة في ضيق عندما ترتفع أسهمها أو حالة صانع برامج معلوماتية يقوم بوضع «قنبلة خفيفة» في قلب البرامج مهددا بتدميرها كوسيلة ضغط ( ألا يقوم حينها باعتقال البرنامج المعلوماتي وإحكام الحصار عليه؟ ). لا شيء أيضا أقرب إلى الإرهاب من قيام مدراء مضاربين باعتقال شركات بعينها عبر التحكم في اختفائها أواستمرارها داخل البورصة. كل هذه الأمور تشتغل على منوال الإرهاب، وهذا هو الوضع الجديد لثقافتنا.

جان بودريار، الفكر الجذري : أطروحة موت الواقع، ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار. دار توبقال للنشر، 2006 – ص. 56 / 57

## 4.IV. النَّزعةُ الوحشيّة في العصرِ الكوكبي

إدغار موران

إن هيمنة الغرب الأوروبي على باقي العالم تسبب في كوارث حضارية، وعلى الخصوص داخل القارة الأمريكية، كما تسبب في تخريبات ثقافية غير قابلة للإصلاح، وفي أنواع رهيبة من العبودية. هكذا فقد انطلق العصر الكوكبي وتطور، بفعل العنف، والتخريب، والعبودية، والاستغلال الوحشي للأمريكتين ولإفريقيا. فالعصيات والفيروسات الأوراسية (نسبة لأوروبا ولآسيا )، انقضت على أمريكا محدثة مذابح حقيقية، وذلك من خلال زرع أمراض فتاكة مثل، الحصبة والقوباء والزكام والسل. بينما كانت

Twitter: @ketab_n

تنتقل عدوى داء السيفيليس من جنس إلى آخر، من أمريكا إلى شنغاين، كان الأوروبيون يزرعون في أراضيهم الذرة الصفراء، والبطاطس، الفاصولياء والطماطم والمينوهت والمحمديات والكاكاو، والتبغ المستورد من أمريكا. لقد كانوا يجلبون إلى أمريكا الأغنام، والأبقار، والجياد، والزروعيات، والكروم، وأشجار الزيتون، والنباتات المدارية، والأرز، والإنيام، والبن، وقصب السكر.

لقد تطورت النزعة الكوكبية بفضل نقل الحضارة الأوروبية إلى القارات الأخرى، وبفضل نقل أسلحتها، وتقنياتها، وتصوراتها بصدد كل ما يدخل تحت تصرفها، سواء تعلق الأمر بما وصلت إليه من مراكز متقدمة، أو ما احتلته من مناطق. هكذا شهد التصنيع والتقنية إقلاعا لم تشهده بعد أية حضارة على الإطلاق. ذلك أن الإقلاع الاقتصادي، وتطور قنوات الاتصال، وإدماج القارات التابعة في السوق العالمية، كل هذا أدى إلى تدفقات هائلة من الهجرات، سيعمل النمو الديموغرافي المعمم على تضخيمها (...)

لقد نجم عن هذه النزعة الكوكبية في القرن العشرين حربان عالميتان، وأزمتان اقتصاديتان عالميتان، كما سينجم بعد 1989 تعميم الاقتصاد الليبيرالي المسمى بالعولمة. إن الاقتصاد العالمي هو عبارة عن كل مرتبط أكثر فأكثر : إذ أصبح كل جزء من أجزائه مرتبط بالكل، والعكس بالعكس حيث أصبح الكل خاضعا للاختلالات وللمخاطر التي تطال الأجزاء (...) إن الصراعات القائمة بين الأمم، وبين الديانات، وبين العلمانية والدين، وبين الحداثة والتقليد، وبين الديموقراطية والديكتاتورية، وبين الأغنياء الفقراء، وبين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، كلها صراعات تتغذى من بعضها البعض، لذا تتداخل المصالح الاستراتيجية والاقتصادية المتصارعة للقوى العظمى وللشركات المتعددة الجنسيات التي تتطلع نحو الربح(...)

من البديهي أن القرن العشرين قد أنجز أشكالا باهرة من التقدم،

Twitter: @ketab_n

وفي جميع مجالات المعرفة العلمية، فثمة تقدم طبي ملموس في الأدوية والجراحة، وثمة تقدم محرر للإنسان يتجلى في استخدام الآلات الصناعية والشخصية والمنزلية. إلا أن هذا القرن تميز كذلك بتحالف نوعين من التوحش : النوع الأول مصدره عمق الزمن الذي نعيش فيه والحابل بالحرب، والمذبحة، والمنفى، والتعصب. والنوع الثاني يحيل على شكل من التوحش بارد مجهول، مصدره البنية الداخلية للتبرير العقلاني والذي لا يعترف سوى بما هو قابل للحساب ويتجاهل الأفراد، يتجاهل شهواتهم، وأحاسيسهم، وأرواحهم، الشيء الذي يضاعف قوى الموت والاستعباد التقنو – صناعية. ولكي نتجاوز هذا العصر الوحشي، يجب أولا أن نعترف بإرثه، وهو إرث مزدوج : يتعلق الأمر في نفس الوقت بإرث الموت وإرث الولادة.

إدغار موران، **تربية المستقبل**، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي. دار توبقال للنشر،2002، ص. 64/ 63/ 60/ 59

## 5.IV. مَالُ النَّزعَةِ التّدمِيرِيّة

فاوستو أنطونيني

إن المشكلة الحقيقية لا تقوم على إبعاد الأسلحة الأشد فتكا وتدميرا.

بل المشكلة الحقة تقوم على جعل الحياة جديرة بأن تعاش، وعلى جعل الرغبة في الموت أو في إحداث الموت لا تظهر لدى الإنسان. في الواقع، عندما يرغب الإنسان في الموت أو في تسبب الموت، فإنه يجد في كل الأحوال، وسيلة لإشباع هذه الرغبات بعيدا عن الأسلحة التي يملك. فإذا لم يقتل وإذا لم ينتحر، فإنه يموت ويسبب الموت النفسي – الجسدي، بواسطة القلق والخوف والضجر واليأس والتهور، والرغبة الجامحة لضبط كل نزواته الغريزية والسيطرة عليها.

إن المشكلة الحقيقية لا تقوم أبدا على إزالة الحروب بقدر ما تقوم على

Twitter: @ketab_n

دفع الناس إلى عدم الرغبة في القيام بها : إنها لا تقوم على إزالة السلاح، إنما على معرفة ما سيحدث بالعدوانية المتراكمة عندما لا يعود بالإمكان استعمالها للقيام بالحروب. فالمشكلة ليست في تغيير طرق التخفيف، إنما السعي والمحاولة لإزالة أسباب تراكم العدوانية.

(...) إننا نعيش في عالم عبثي، في مجتمع مجنون وهاذ، يحاكم الحب ويمجد الحقد. والمؤسسات الاجتماعية، بالنسبة للأكثرية، هي مؤسسات عنف وخبث. إنها تقوم على الشكليات والخوف. إننا نحكم على النتائج (نحاكم مثلا الدعارة والحروب) وفي نفس الوقت نمجد الأسباب (هكذا تتم محاكمة الإيروس والمنافسة المدمرة). إننا نعيش في محيط من الشكليات، نرى فيه أفضل الأشخاص يغرقون. فالأشخاص الأكثر موهبة، نفسيا و بيولوجيا، يقعون عادة ضحية التنظيم الاجتماعي الذي يدفعهم إلى العصاب ويجعل مصيرهم ملعونا، والذي يدفع إلى الأمام، باصطفاء مقلوب لا يقاوم، الأكثر خبثا، والأكثر مكرا، وأولئك الذين يجيدون، بشكل أفضل حياكة الدسائس والمكائد.

إن مجتمعنا في مجموعه قد قلب كل القيم، إنه مجتمع يحكم هكذا على كل ما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش، ويمجد احتقار الحياة بالذات. والأمر الأكثر مأساوية، والأمر غير المحتمل هو كون كل هذا يبدو نظريا، قابلا للتجاوز : نموت عطشا على بعد خطوتين من الينبوع. إن حضارة كهذه ليست جديرة في متابعة طريقها ولا تستحق الوجود. أنا لا أتفق إطلاقا مع الذين يصرون، على أن النوع البشري يجب في أي حال، أن يستمر مهما كانت الظروف.

إن الإلاه ذو الرحمة الكلية، وهب الإنسان السلاح النووي، الذي خلقه العلم. إنما غالبا ما وضع في خدمة الحقد. هذا السلاح هو رباني، ودليل غائية عميقة تهيمن على الكون. مهما كانت حضارتنا الراهنة، ونظرا لوجود السلاح النووي، فإنها لا يمكن أن تتقدم، لأن كل خطوط تقدمها

Twitter: @ketab_n

المنطقية تقود إلى الكارثة الذرية. وإذا كان من الواجب، بل إذا كان في الإمكان تجنب هذه الكارثة، فلا يمكن عندها أن تستمر على ما هي عليه أية مؤسسة من المؤسسات الحالية، من العائلة إلى الدولة، ومن الاقتصاد إلى الثقافة. وإذا ما ظلت مؤسسة واحدة دون تغير، فإن المؤسسات الأخرى قد تعاود إنتاج ذاتها بتأثير العدوى المنطقي. وقد نعود إلى دائرة الصفر لنبدأ من جديد.

يسجل السلاح النووي منعطفا : إما أن يصيب التحول المجتمعات المتحضرة الأوروبية (الجنس الأكثر طمعا استطاع التغلب على بقية الأجناس، إما عن طريق القضاء عليها، وإما عن طريق جعلها على صورته) انطلاقا من الأساس، وإما أن الحياة البشرية، أو باختصار الحياة، ستختفي عن وجه البسيطة.

ثمة فكرة تغريني : أنا أعلم أن مجتمع الحقد صائر، بأية حال، إلى زوال، إما عن طريق التحول وإما بتدمير ذاته، وهذا ما يخفف عني كل الحقد، الذي اضطر أن أعاني منه يوميا، ويوميا أضطر إلى مراكمته.

عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر. معهد الإنماء العربي، 1989، ص.170 / 181 / 182

## 6.IV. عُنفُ العولـمَة

جون بُودريار

(...) لقد كان ما هو كوني عبارة فقط عن فكرة، وعندما تحقق في ما هو عالمي انتحر كفكرة، وكغاية مثالية. وحده ما هو إنساني أصبح سلطة مرجعية، فبعد أن احتلت الإنسانية المتأصلة في ذاتها المكانة الفارغة التي خلقتها فكرة موت الله، أصبح ما هو إنساني هو السائد وحده، ولكن لم تعد له قط تلك العلة الغائية. وبما أنه أصبح يفتقد للعدو، فإنه يعمل على خلقه من الداخل، كما يعمل على إفراز كل أنواع الإنبثاثات اللاإنسانية.

Twitter: @ketab_n

من هنا يتجلى عنف ما هو عالمي، عنف نسق يطارد كل شكل من أشكال السلب، والتفرد، بما في ذلك هذا الشكل المتطرف من التفرد والمتعلق بالموت ذاته - عنف مجتمع، نجد فيه أنفسنا ممنوعين من الصراع ومن الموت - إنه عنف يعمل إلى حد ما على القضاء على العنف ذاته، إنه يعمل من أجل جعل العالم متحررا من كل نظام طبيعي، سواء تعلق الأمر بالجسد، أو بالولادة، أو بالموت. يتعلق الأمر بشيء أكثر من العنف، علينا أن نتحدث عن عنف شرس. إنه عنف فيروسي : يحدث عن طريق العدوى، وفي شكل نتائج متوالدة، ويعمل شيئا فشيئا على تدمير مناعتنا وقدرتنا على المقاومة.

ومع ذلك فالأمر لم ينته بعد، والعولمة لم تنتصر سلفا. ولمواجهة هذه القوة الداعية إلى التجانس وإلى الذوبان، نلاحظ في كل مكان ظهور قوى غير متجانسة - إنها ليست فقط قوى مختلفة، بل متعارضة. فعلاوة على أنواع مقاومات العولمة، والتي تزداد قوة أكثر فأكثر، هناك مقاومات اجتماعية وسياسية، يجب أن ننظر إليها ليس فقط باعتبارها تعبر عن رفض عتيق : بل باعتبارها نوعا من النزوعات التعديلية الممزقة بالنسبة لمكتسبات الحداثة و«التقدم»، إنها رفض ليس فقط للبنية التكنولوجية المتعلقة بالعولمة، بل رفض للبنية العقلية التي تعمل على الموازاة بين كل الثقافات. يمكن أن يتخذ هذا الإنبثاق الجديد مظاهر عنيفة، شاذة، لا عقلانية، اتجاه فكرنا المستنير - يتعلق الأمر بأشكال جماعية إثنية، دينية، لسانية - ولكنها أشكال فردية، مزاجية أوعصابية. ومن الخطأ أن نتهم هذه الردود أفعال بكونها ردود أفعال شعبوية، عتيقة، وبالتالي إرهابية، إن كل الأحداث المثيرة في وقتنا الراهن هي تلك التي تكون مناهضة لهذه الكونية المجردة - بما في ذلك منافسة الإسلام للقيم الغربية ( لأنها الإحتجاج الأكثر حدة، فإنها تعتبر العدو رقم واحد).

من بإمكانه أن يؤدي إلى فشل النسق العالمي؟ بالتأكيد ليست هي

Twitter: @ketab_n

الحركة المضادة للعولمة، والتي لا تتخذ كهدف لها سوى كبح الإختلال. يمكن للتأثير السياسي أن يكون هاما، أما التأثير الرمزي فهو ضعيف. إن هذا العنف ذاته، هو كذلك بمثابة تغيير مفاجئ داخلي يمكن أن يتغلب عليه النسق مع الحفاظ على التحكم في قواعد اللعب.

إن ما يمكن أن يقضي على النسق، ليست هي البدائل الإيجابية، بل أنواع الخصوصيات. ذلك أن هذه الأخيرة ليست لا بالسلبية ولا بالإيجابية، إنها ليست بديلا، بل إنها ذات طبيعة ثانية. إنها لا تخضع أبدا لحكم القيمة ولا لمبدأ الواقع السياسي. إنها يمكن أن تكون إذن تعبيرا عن ماهو أحسن أو ماهو أسوء. ولا يمكن أن نآلف بينها داخل حركة تاريخية جامعة. إنها تقضي على كل تفكير أحادي ومهيمن، لكنها ليست تفكيرا أحاديا مضادا – إنهم يختلقون لعبهم وقواعدهم الخاصة في اللعب.

إن الخصوصيات ليست بالضرورة عنيفة، منها ما تكون خصوصيات لطيفة، مثل تلك المتعلقة بالألسن، بالفن، بالجسد أو بالثقافة، ولكن هناك خصوصيات أخرى عنيفة – والإرهاب إحدى تجليات هذه الخصوصية. وهي تلك التي تنتقم لكل الثقافات الخصوصية التي كان انمحائها هو الثمن الذي أدته من أجل تثبيت القوة العالمية الوحيدة.

لايتعلق الأمر إذن بـ «صدمة الحضارات»، بل بمواجهة أنتروبولوجية تقريبا، بين ثقافات كونية غير منتمية، وبين كل ما يحتفظ في أي مجال كان، بنوع من الغيرية غير قابلة للإختزال.

بالنسبة للقوة العالمية، والتي هي أصولية مثلها مثل الأرثوذوكسية الدينية، فكل الأشكال المختلفة والخصوصية هي عبارة عن ضرب من الهيستيريات. لذا فهي محكوم عليها إما أن تدخل عن طيب خاطر أوبالقوة، في إطار النظام العالمي، وإما أن تنمحي من الوجود. إن مهمة الغرب ( أو بالأحرى الغرب سابقا، مادام لم يعد لهذا الغرب، منذ مدة طويلة، قيما خاصة به ) هي أن يسخر كل الوسائل من أجل إخضاع مختلف الثقافات

Twitter: @ketab_n

المتعددة إلى قانون المعادلة الوحشي. فالثقافة التي فقدت قيمها لا يمكن إلا أن تنتقم من ثقافات الآخرين. حتى الحروب – مثل حرب أفغانستان – تستهدف أولا إلى، علاوة على الإستراتيجيات السياسية أو الإقتصادية، تقنين التوحش، وفرض نظام واحد داخل كل بقاع العالم. إن الهدف هو القضاء على كل منطقة صامدة، واستعمار وتدجين كل الفضاءات المتوحشة، سواء تعلق الأمر بفضاءات جغرافية أو بعوالم ذهنية.

إن موضعة النسق العالمي، هي نتيجة لغيرة وحشية : غيرة ثقافة غير معترف بها، وتوجد في وضعية منحطة بالنسبة للثقافات التي تتميز بوضعية راقية – إنها غيرة أنسقة تعاني من خيبة أمل، وتحس بالضعف اتجاه ثقافات قوية جدا – غيرة مجتمعات فقدت قداستها اتجاه ثقافات وأشكال قداسية.

العولمة والإرهاب، لوموند ديبلوماتيك، 18 نونبر2002

## 7.IV. الهيمَنةُ والإرهَاب

جون بودريار

(...)' عندما تكون الوضعية، محتكرة من طرف القوة العالمية، عندما يتعلق الأمر بهذه الكثافة الهائلة لكل الوظائف من خلال الآليات التكنولوجية و الفكر الأحادي، هل ثمة خيار آخر ما عدا هذا التحويل الإرهابي للوضعية؟. إن النسق هو ذاته الذي خلق الشروط الموضوعية لهذا الرد العنيف. فباحتكاره لجميع الإمتيازات، يرغم الآخر على تغيير قواعد اللعبة. و القواعد الجديدة متوحشة، لأن الرهان ذاته متوحش. فاتجاه نسق يجعل اكتساب القوة تحديا قاهرا يرد الإرهابيون بعمل حاسم بحيث لا يمكن كذلك بالمقابل أن يرد عليه. إن الإرهاب هو الفعل الذي يعيد بناء تفرد غير قابل للإختزال في قلب نسق تبادلي معمم. كل أنواع التفرد(الكائنات،

Twitter: @ketab_n

الأفراد، الثقافات) التي ضحت بنفسها من أجل ضمان تداولها عالميا، أصبحت الآن في قبضة قوة واحدة، لهذا فهي تعمل اليوم على الإنتقام من خلال هذا التحويل الإرهابي للوضعية.

إنه رعب ضد رعب، و ليس هناك أية مرجعية إيديولوجية وراء كل ذلك. لقد أصبحنا من الآن فصاعدا بعيدين عن الإيديولوجيا و عن السياسة. لا تأخذ الطاقة المزودة للرعب بعين الإعتبار كونها لاتخضع لأية إيديولوجيا، ولا لأية قضية، بما في ذلك قضية الإسلام. فليس المستهدف هو تغيير العالم، بل المستهدف(مثل ما كان عليه الأمر بالنسبة للهراطقة في زمانهم) هو إغراقه بالتطرف عبر التضحية، في الوقت الذي يسعى النسق نحو زرع هذا التطرف باستعمال القوة.

إن الإرهاب، مثل الفيروسات، ينتشر في كل مكان. ثمة حقن عالمي متواصل للإرهاب، إنه الظل المرافق لكل نسق من الهيمنة، والذي يكون مستعدا في كل مكان كي يستيقظ عميل مزدوج يعمل مع الخصمين. ليس هناك خط فاصل يسمح بمحاصرته، إنه موجود في صلب هذه الثقافة التي تحاربه، كما أنه يتجلى في هذا الفرق الساطع والذي يجعل ثمة تعارضاً على مستوى عالمي بين المستغلين والمتخلفين و بين العالم الغربي، كل هذا ينضاف خلسة إلى التصدع الداخلي للنسق المهيمن. هذا الأخير الذي يقف بالمرصاد لكل منافس حقيقي. لكن، و من جهة أخرى، يتعلق الأمر ببنية فيروسية، كما لو أن كل جهاز للهيمنة يفرز عدته المضادة، و يفرز من تلقاء ذاته علة زواله. لكن لا يستطيع النسق أن يفعل شيئا ضد هذا الشكل من الإرتكاس الذي يكون أوتوماتيكيا. و الإرهاب ليس سوى هذه الذبذبة التي يحدثها هذا الإرتكاس الصامت.

لا يتعلق الأمر لا بصدمة الحضارات و لا بصدام الأديان، و هذا يتجاوز كثيرا الإسلام و أمريكا، اللذين يتم الآن تركيز الصراع عليهما من أجل أن نوهم أنفسنا بمواجهة مشخصة و باللجوء إلى القوة كحل. يتعلق

Twitter: @ketab_n

الأمر بمنافس جوهري، والذي يحيل، من خلال شبح أمريكا(التي قد تكون هي المركز السطحي، لكنها ليست على الإطلاق وحدها التي تجسد العولمة)، و من خلال شبح الإسلام (و الذي هو الآخر لا يمثل على الإطلاق الإرهاب) على العولمة المنتصرة في صراعها ضد ذاتها. بهذا المعنى يمكننا أن نتحدث عن حرب عالمية، ليست الحرب الثالثة، بل الرابعة و التي ستكون وحدها بالفعل حربا عالمية، لأن رهانها هي العولمة ذاتها. لقد كانت الحربان العالميتان الأوليتان تتطابق مع الصورة الكلاسيكية للحرب. فالأولى وضعت حدا للتفوق الأوروبي و للعصر الكولونيالي. و الثانية وضعت حدا للنازية. أما الثالثة التي وقعت بالفعل، في شكل حرب باردة و في شكل قوةرادعة وضعت حدا للشيوعية. وسواء تعلق الأمر بهذه الحرب أو تلك، فقد كنا نسير بسرعة كبيرة في اتجاه نظام عالمي فريد. أما اليوم فيمكن القول إن هذا العالم بعد أن بلغ مقصوده، فإنه أصبح في صراع مع القوى المنافسة المنتشرة في كل بقاع العالم، و المتجلية في كل الإضطرابات الحالية. إنها حرب شاذة بين كل الخلايا، بين كل الخصوصيات التي تنتفض في شكل أجساد مضادة. إنها مواجهة لا يمكن التحكم فيها، بحيث يتعين من حين إلى آخر إنقاذ فكرة الحرب عبر إخراج مشاهد استعراضية، مثلماحدث سابقا في حرب الخليج، أو مثلما حدث مؤخرا في حرب أفغانستان. لكن الحرب العالمية الرابعة توضع في موضع آخر. إنها ما يلاحق كل نظام عالمي، وكل هيمنة متسلطة- فلو هيمن الإسلام على العالم، لقام الإرهاب ضد الإسلام. لأن العالم ذاته هو الذي يقاوم العولمة.

**العولمة والإرهاب**، لوموند ديبلومانيك، 18 نونبر2002

Twitter: @ketab_n

## 8.IV. النَّحْوُ الجَدِيدُ للْحضَارَات

أوليفي مونجان

إن السؤال إذن يطرح بكل وضوح على الشكل التالي: هل الفعل الإرهابي لـ 11 شتنبر 2001، و هو فعل بلغت فظاعته و ضخامته بشكل لم يسبق له مثيل، سيؤدي إلى تخفيف «حرب الثقافات» التي أعلن عنها صامويل هنتنغتون؟ هل سيؤدي إلى وقوع نوع من التصعيد الإيديولوجي أو العسكري؟ أم أن التأثير الفعلي المركب الذي أحدثه في الأذهان سيكون بمثابة فرصة سانحة «لتحقيق نوع من الوعي» المنقذ من طرف عالم ديموقراطي يشعر بأنه تعرض لإعتداء و يعلن بأن هذه الحرب لن تكون حربا مثل باقي الحروب (و مبرر ذلك، هو أن الإرهابي يرفض المواجهة، إنه يفر أمام الصراع، إنه لا يتوخى سوى زرع عدم الإستقرار، إن خطابه ليس مجرد كذب، حيث الدعوة إلى الحقد، إنها إرادة تتوخى جعل المعتدى عليه يتصرف هو كذلك كإرهابي).

لذا فالرد على الفعل الإرهابي هو مصيدة، إذ أننا نجد أنفسنا بين نارين: إما الإعلان عن حرب صليبية أو البحث عن تفسير- فهم لهذا الفعل. و الحالة هذه يجب في نفس الوقت أن نكون حذرين اتجاه المحاربين الصليبيين الذين يهددون بقيامهم بتصعيد أبوكاليبسي (إننا لم ننته أبدا مع هذا السديم) و بالتالي إذكاء داخل العالم ككل مشاعر الحقد ضد أمريكا وهذا ما يرغب فيه المعتدي الإرهابي، إلا أنه على ما يبدو قد ذهب إلى أبعد من ذلك، إذا ما رجعنا إلى ردود الأفعال داخل العالم اللاغربي. يدعونا الحدث كذلك إلى طرح جانبا الخطابات الملائكية أو العالم الثالثية (حتى لا نقول الخطابات الأولية المعادية للأمركة) والتي تقوم على أساس تقديم هذا الفعل الإرهابي كسلاح في يد الفقير، و بالتالي تعمل على نقد الوسيلة وتثمين الغاية (التذمر من العم سام الأكبر). يتصرف الإرهابي دون أن يكشف عن نفسه،

Twitter: @ketab_n

إنه يتجنب الصراع، إنه يتملص من كل أشكال الفعل السياسي و ليس له من هدف آخر سوى خلخلة الثوابت. و إذا كان من اللازم القيام برد عسكري، فعليه إذن أن يتخذ دلالة سياسية واضحة (عليه أن يجيب لماذا التركيز على أفغانستان و باكستان، و ما هي النقط المستهدفة؟) دون أن يقوم بخلخلة أكثر لبعض الأجزاء من العالم.

(...) إن مستقبل الدول رهين بسياسة عولمية لا يجب أن تكون لا أحادية الجانب و لا انعزالية. إن «السيادة الأمريكية» لا يمكن أن تتملص من باقي دول العالم. إن العولمة أكثر من أي وقت مضى أصبحت مطلوبة أكثر فأكثر في الحاضر منذ 11 شتنبر، و لكنها يمكن أن تنتهي إما إلى التضامن أكثر، أو إلى فوضى متنامية، و بالتالي إلى انفصال بين العوالم. في الواقع إننا نشهد ميلا أقل نحو الهيمنة على العالم، إننا في سياق مابعد كولونيالي، ومابعد أوروبي نشهد ميلا أكثر نحو تكوين مناطق ثقافية ( الصين، الهند) مستقلة، ووجود تعددية ثقافية و التي هي ليست بالضرورة ضد التصاعد المتنامي للعقلية الديموقراطية.

وعلى أية حال، فالنموذج المثالي الديموقراطي، لا يمكن إلا أن يتم تقاسمه: فأن نقبل بحرب الثقافات، و أن نقبل بوجود عالم مؤهل للديموقراطية وعالم آخر متوحش (ماقبل ديموقراطي؟ ومابعد ديموقراطي؟) هو نفي جذري لكونية الديموقراطية، إن إثبات هذا الشعار رهين بقبول فكرة أن الهوة تتسع و أن الديموقراطية مخصصة لجزء واحد داخل العالم. إنه لمن الخطورة بمكان أن نقبل مثل هذه الفكرة و التي تؤدي إلى مسلمة مفادها أن الديموقراطية لا يمكنها أن تثبت قيمتها و تجعلها ذات مصداقية في باقي العالم(...) هل يجب أن نتحدث عن تغير عصر، و أن نتطرق في حديثنا إلى نهاية حقبة، تدشن لبداية مرحلة عصيبة بالنسبة لمستقبل الديموقراطية؟ بالنسبة لي، لن أتحدث عن تغيير العصر بل عن الإمكانية (أو عدم الإمكانية) التاريخية للإنفلات من هذه الممرات المغلقة التي تلت هذا

Twitter: @ketab_n

الإنتصار الديموقراطي المزعوم لـ سنة 1989 و لما بعد نهاية الحرب الباردة.

النمو الجديد للحضارات: لوموند3 أكتوبر2001

## 9.IV. الإرْهَابُ سِلاَحُ الأقوِيَاء

نوام تشومسكي

(...) حسب دوائر زعماء الغرب، فإن الحرب ضد الإرهاب، تعتبر بمثابة «خوض صراع ضد سرطان متفشي يزرعه في كل مكان أناس همجيون». لكن هذه الكلمات و هذه الأولوية ليست وليدة اليوم. فقبل 20 سنة، صرح بهما الرئيس رونالد ريغان و كاتب الدولة أليكسندر هيغ. و لكي تقود الحكومة الأمريكية هذا الصراع ضد الخصوم غير المتحضرين، فإنها وضعت رهن إشارتها شبكة إرهابية دولية موسعة لم يسبق لها مثيل. وإذا كانت هذه الشبكة تقوم بفظاعات كثيرة من حين لآخر، داخل الكوكب، فإنها ستكرس لاحقا مجهوداتها لأمريكا اللاتينية.

(...) يكشف هذا التاريخ عن أشياء عديدة. أولا أن الإرهاب شيء جاري به العمل، و نفس الشيء بالنسبة للعنف. ثانيا، من الخطإ أن نعتقد أن الإرهاب هو سلاح الضعفاء. فكباقي الأسلحة الفتاكة يعتبر الإرهاب هو سلاح الأقوياء على الخصوص. وعندما ندعي عكس ذلك، فلأن الأقوياء يراقبون كذلك الأجهزة الإيديولوجية والثقافية التي تجعل إرهابهم يتخذ شكلا غير شكل الإرهاب. إن أحد الوسائل المعمول بها، و التي تلجأ إليها من أجل بلوغ هذه النتيجة هو العمل على محو الأحداث المزعجة من الذاكرة؛ هكذا فلا أحد يتذكر الآن ما حدث. و مع ذلك، فسلطة الدعاية والمذاهب الأمريكية هي على هذه الدرجة من القوة بحيث أنها تفرض نفسها حتى على ضحاياها. فإذا ما ذهبتم إلى الأرجنتين، عليكم أن تذكروا الناس بما وقع، آنذاك سيقولون لكم: «آه، نعم و لكننا نسينا ذلك !».

إن نيكاراغوا، هايتي وغواتيمالا هي البلدان الثلاث الأكثر فقراً في

Twitter: @ketab_n

أمريكا اللاتينية، وهي من بين الدول التي تدخلت فيها أمريكا عسكريا. إن الأمر لا يتعلق هنا بالضرورة بصدفة عرضية. بل كل هذا وقع في مناخ إيديولوجي موشوم بالنداءات الحماسية للمثقفين الغربيين. فقبل سنوات قليلة كانت المباهاة بالذات شيئا متداولا كثيرا : نهاية التاريخ، النظام العالمي الجديد، دولة الحق، التدخل الإنساني، الخ. لقد كانت عملة سائدة، على الرغم من أننا لم نتدخل لإيقاف هذا السيل من أنواع القتل، بل والأسوأمن ذلك، كنا نساهم فيه بشكل فعال. ولكن من يتحدث عن ذلك؟ بل إن أحد منجزات الحضارة الغربية يكمن في أنها جعلت من الممكن وقوع مثل هذه التناقضات داخل مجتمع حر. فالدولة الكليانية لا تتوفر على هذه الموهبة.

(...)إن محاربة الإرهاب يفرض تقليص مستوى الرعب،لا العمل على مضاعفته. فعندما قامت منظمة إيرا باعتداء على لندن، لم يقم البريطانيون بتدمير مدينة بوستون التي يوجد بها العديد من أنصار منظمة إيرا، و لا بتدمير بلفاست. لقد بحثواعن المجرمين، ثم حاكموهم. إن أحد الوسائل الكفيلة بتقليص مستوى الرعب يكمن في الكف عن المساهمة في هذا الرعب ذاته. ثم التفكير في التوجهات السياسية التي خلفت هذا الخزان من الدعم الذي استفاد منه شركاء هذا الإعتداء الذي وقع. لقد بدأ في الآونة الأخيرة الرأي العام الأمريكي يعي كل أنواع الوقائع الدولية، و التي كانت فيما قبل النخب وحدها التي تشك في وجودها، قد يكون ذلك خطوة أولية في هذا الإتجاه الذي تحدثنا عنه.

النمو الجديد للحضارات: لوموند3 أكتوبر2001

Twitter: @ketab_n

## 10.IV الإرْهَابُ كعنفٍ خَالص

بول دوموشيل

(...) ما هو الإرهاب؟ لكي يتأتى لنا فهمه جيدا، سيكون من الأفيد أن نطبق على مفهوم الإرهاب تلك المقولة الشهيرة لكلوزوفيتش بصدد الحرب عندما قال : الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى. وإذا لم تكن هذه القولة صالحة لتعريف الإرهاب، فإنها على الأقل يمكن أن تقدم لنا مقاربة أولية عنه. صحيح ثمة طرق عديدة في فهم هذه القولة : فبالنسبة للبعض، تعني هذه القولة حسب كلوزوفيتش، أن كل سياسة أو على الأقل كل سياسة خارجية، هي في نهاية المطاف سياسة حربية. أما بالنسة لي، وتبعا لما قاله ريمون آرون، فهذه القولة تعني حسب كلوزوفيتش، أن كل حرب هي ذات بعد سياسي. وهذا يعني أن الظاهرة الحربية ليست مستقلة بذاتها، وأن الحرب لايمكن أن تفهم إلا إذا وضعت في السياق السياسي الذي تقع داخله. أعتقد أن الأمر كذلك بالنسبة للإرهاب، والذي لايمكن فهمه بمعزل عن السياق السياسي- بالمعنى الواسع للكلمة- الذي يقع في إطاره. ومع ذلك، وعلى عكس ما قاله كلوزوفيتش أو على الأقل عكس التأويل الذي أعطاه ريمون آرون، أظن الإرهاب مثله مثل ما كانت عليه الحرب سابقا، يمكن أن يستقل بذاته بمعزل عن السياق السياسي الذي أفرزه.

إذن الإرهاب هو امتداد للسياسة بوسائل أخرى غير الوسائل السياسية. ومثلما هو الشأن بالنسبة للحرب، فإن الوسائل الأخرى هي أساسا وسائل عنيفة. فالإرهاب هو إذن امتداد لسياسة معينة بوسائل تضع موضع تساؤل القواعد الموجودة بصدد الجدال السياسي. قد يتهم البعض هذه المقاربة لكون موقفها من النشاط الإرهابي يعتمد على رؤية مفرطة في العقلانية. عكس ذلك، أليس الإرهاب هو في الواقع شيئ لاعقلاني للغاية؟ فهو من جهة لاعقلاني، لأن حسب العديد من الخبراء لا يكون فعالا على مستوى

Twitter: @ketab_n

سياسي. وهو من جهة أخرى لاعقلاني لأن العنف الشديد الذي يتميز به يجعلَ الفعل الإرهابي منفصلا عن ما يدعيه من أهداف سياسية، فيغدو مجرد عنف خالص. والحالة هذه، يمكننا أن نرد على هذا الإتهام أولا، بكون موقفه هو أيضا من النشاط السياسي يعتمد على الأرجح على تصور مفرط في العقلانية. وثانيا، بكون الحكم الذي يصدره على لاعقلانية الإرهاب يقوم على خطأين : الخطأ الأول يكذبه الواقع، لذا نقول بكل بساطة من الخطأ اعتبار أن الإرهاب يكون دائما وفي أي مكان عملا غير فعال. بل عكس ذلك، أحيانا قد يكون الإرهاب فعالا بشكل رهيب. والسؤال الذي يطرح نفسه هو المتعلق بتحديد، إذا أمكن، شروط فعاليته. فإذا استطعنا أن نحدد سياسيا هذه الشروط، فمن الممكن أيضا أن نحددها بشكل مغاير. ثانيا، إن الحكم على لاعقلانية الإرهاب يقوم على خطإ في التصنيف، ويتمثل في الخلط بين ماهو سياسي وماهو أخلاقي. فالعنف الإرهابي نادرا ما يتعذر علينا تحديده سياسيا، على الأقل حسب تصور محدد للسياسية. بالنسبة لي العنف الإرهابي ليس عقلانيا بالضرورة، لكن ميزته تكمن في كونه يسمح لنا بأن ندرك في نفس الوقت نقاط الشبه والإختلاف الموجودة بين الإرهاب والحرب.

(...)إذا كانت الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى، فلأن العنف حسب كلوزوفيتش هو أحد الوسائل التي تمتلكها الدول من أجل الدفاع عن عن مصالحها. والحالة هذه، ليس من حق الأفراد أو الجماعة الذين يشكلون المجتمع السياسي، أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة. وبشكل أكثر تحديدا نقول إن لجوءهم إلى وسيلة العنف يجعلهم عبارة عن مجرمين. وبالتالي يخرج فعلهم من دائرة المجال السياسي، ويدرجه في دائرة الإجرام. حسب هذا المنظور الكلاسيكي يمكن أن نعتبر الإرهاب بمثابة محاولة لتمرير التمييز بين ثنائية صديق / عدو داخل الكيان السياسي. إنها محاولة تحدد الإرهاب كفعل إجرامي، لكن عكس ما عليه الأمر بالنسبة لمجرم الحق العام، والذي

Twitter: @ketab_n

يلجأ إلى العنف كتعبير عن تصدع حاصل داخل النظام السياسي القائم، فإن الإرهابي يسعى من خلال فعله إلى وضع هذا النظام ذاته موضع تساؤل.

(...)إن إلقاء نظرة أنتروبولوجية سريعة من شأنها أن تبين لنا أن التقسيم الأكثر تكرارا في فضاء العنف ليس هو فقط التقسيم المتعلق بثنائية صديق / عدو، حيث التمييز بين المجال القانوني الداخلي للدولة من جهة، والعداوة العسكرية بين الوحدات السياسية من جهة أخرى. بل عكس ذلك إنه تقسيم ثلاثي، يتمثل على العموم في ثلاث دوائر للعنف متراكزة : أولا دائرة الهوية، يتعلق الأمر هنا بالفضاء الإجتماعي حيث تعترف الذات بالآخرين على أساس أنهم يتقاسمون معها نفس الهوية، إنه فضاء الجزاء القانوني والتضامن بين أعضاء نفس المجموعة، وفضاء كذلك لممارسة طقوس الكفارة القربانية. ثانيا الدائرة التي يتم الإنتقام فيها ضد كل ما يحدث من إساءات، إنه مجال المبادلات العنيفة المحددة والمقننة، والذي يتحدد من خلال نوع من الخصومة. صحيح يتعلق الأمر بعلاقة تعارض وصراع، لكنه خاضع لنوع من التوازن بين المتخاصمين أكثر مما تسعى نحو إقصاء الآخر. وأخيرا دائرة العدوان، حيث تسود الحرب والرغبة في تدمير الآخر و اختزاله إلى موضوع للإستهلاك.

الإرهاب في العصر الأمبراطوري مجلة إسبري 8/ 9 - 2002.

## 11.IV سِيَاسَةُ اللاَّعُنْف

غاندي

اللاعنف هو أكبر قوة تملكها الإنسانية. كما أن تأثيرها أكبر من أكثر الأسلحة دمارا. فالدمار لا يتلاءم بالمرة مع شريعة الإنسان. فالحرية تعني استعداد الإنسان للموت إن تطلب الأمر ذلك على يد جاره، ولكنها لا تعني أبدا قتله كيفما كان السبب. فكل اغتيال، أو أي شكل من أشكال

Twitter: @ketab_n

الاعتداء على الشخص الإنساني يعتبر جريمة ضد الإنسانية.

إن أولى متطلبات اللاعنف هي احترام العدالة في المجال الشخصي وفي جميع المجالات الأخرى. هل هذا طلب عسير على الطبيعة الإنسانية؟ لا أعتقد ذلك. لا يجب أبدا اللجوء إلى النظريات حول ما باستطاعة الإنسان فعله من خير أو شر.

فبما أنه يجب أن نتعلم القتل لممارسة فن اللاعنف، يجب علينا أيضا معرفة الاستعداد للموت لنتدرب على اللاعنف. لا يحرر اللاعنف الإنسان من الخوف، ولكنه يبحث عن سبب الخوف لاجتثاثه. وعلى العكس من ذلك، فإن اللاعنف لا أثر فيه لأي خوف كيفما كان. على الذي يتبنى اللاعنف أن يستعد لبذل التضحيات الكبرى للتحرر من كل خشية. فلن يتساءل عما إذا كان سيفقد بيته أو ثروته أو حياته. وإذا لم يتجاوز كل التخوفات، فإنه لن يستطيع ممارسة اللاعنف (ahimsa) في منتهى الكمال.

فاللاعنف لا يعني الاكتفاء بمحبة الذين يحبوننا. بل يبدأ في اللحظة التي نحب فيها أولئك الذين يكرهوننا. لا أجهل أبدا كل الصعوبات الملازمة لوصية المحبة الكبرى هذه، ولكن أليس هذا هو دأب الأمور العظيمة والصالحة؟ فأصعب الأمور هي محبة المرء لأعدائه. لكن إذا أردنا فعلا أن نحقق ذلك، فإن بركة الإله ستساعدنا على تخطي العقبات الرهيبة.

اللاعنف هو مبدأ كوني يجب أن ينتصر حتى في أحلك الظروف. فلا يمكن قياس فعاليته إلا حين يواجه وسطا معينا. فلن يساوي اللاعنف شيئا إذا كان على نجاحه أن يرتهن بالإرادة الحسنة للسلطات القائمة.

لا يمكن للمرء أن يكون فعلا لا عنيفا ويظل في نفس الوقت سلبيا تجاه الظلم الاجتماعي. إن المقاومة السلبية هي منهج يسمح بالدفاع عن أي حق مهدد وذلك بتحمل ذاتي للعقاب الذي يمكن أن ينتج عن ذلك. إنه عكس المقاومة المسلحة، حينما أرفض القيام بشيء يشمئز منه ضميري، ألجأ إلى قوة الروح. لنفترض أن الحكومة عملت على تبني قانون ينتهك بعضا من

Twitter: @ketab_n

حقوقي، فإذا لجأت إلى العنف من أجل إبطال هذا القانون، فسأستعمل ما يمكن نعته بقوة الجسد. ولكن على العكس من ذلك، إذا لم أخضع لذلك القانون مع قبول تحمل العقوبات المتوقعة في هذه الحالة، فإني استعمل قوة الروح، وهذا يتطلب التضحية بالذات.

وتؤكد لي سلسلة من التجارب الممتدة على مدى الثلاثين سنة الأخيرة (من بينها ثماني سنوات في جنوب إفريقيا) أن مستقبل الهند والعالم رهين بتبني اللاعنف. إنه الوسيلة الأقل إيذاء والأكثر فعالية للدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لكل المضطهدين والمستغلين. ليس اللاعنف فضيلة رهبانية تستهدف تحقيق السلم الداخلي وضمان الخلاص الفردي، ولكنه قاعدة سلوكية ضرورية للعيش في المجتمع لأنه يضمن احترام الكرامة الإنسانية ويسمح بالتقدم في تحقيق السلام وفق أعز التطلعات الإنسانية.

من وجهة نظر إيجابية، تعني الـ(ahimsa) أقصى قدر من الحب، إنها رحمة في منتهى الكمال. إذا كنتُ لا عنيفا فعليَّ محبة عدوي، كما أنه يجب أن أسلك نفس السلوك مع الشرير، سواء تعلق الأمر بعدو غريب عن عائلتي أو بابني. تتطلب الـ(ahimsa) لتكون فعالة البسالة واحترام الحقيقة. ولن يكون بالإمكان حقا الخوف مِن مَن نحب أو إرعابه. وتعتبر هبة الحياة أثمن هبة وهبت لنا. ومن يضحي بهذه الهبة يقضي على كل عدوانية، ويفسح المجال أمام تفاهم الخصوم المتبادل وأمام التوصل لتسوية شريفة للنزاع. لا أحد بإمكانه وهب هذا الكنز للغير وهو أسير الخوف. من المستحيل على المرء أن يكون جبانا ولا عنيفا في نفس الآن فالـ(ahimsa) مرادف لبطولة المثالية.

فبعد ما تخليت عن السيف، لم أعد أملك إلا قدح الحب لأمنحه لخصومي. بفضل هذا القربان أنوي التقرب منهم.

لا يقتضي اللاعنف الامتناع عن القيام بأية معركة واقعية لمواجهة الشر. بل على العكس من ذلك، أرى في اللاعنف صراعا أكثر حيوية.

Twitter: @ketab_n

وأصالة من قانون الثأر البسيط الذي يؤدي لمضاعفة الشر. أنوي اللجوء لأسلحة أخلاقية وروحية ضد كل ما هو لا أخلاقي. لا أبحث عن إضعاف حد السلاح الذي يواجهني به المستبد باستعمال نصل أكثر شحذا من سلاحه. بل إنني أعمل على إبطال مفعول دافع الصراع بعدم القيام بأية مقاومة مادية. يتم إيقاف خصمي عند حده بفضل قوة الروح. في البداية سيضطرب ثم سيكون مجبرا على قبول أن هذه المقاومة الروحية لا تهزم، إذا قبل ذلك دون أن يهان، سيخرج من هذه المعركة أكثر نبلا من السابق. يمكن الاعتراض بالقول إن هذا الحل مثالي، والجواب هو أن هذا الاعتراض هو عين الصواب.

كل الناس إخوة، غاليمار، ص. 166/ 153

## 12.IV العنفُ وأُفُقُ الإنسَانِيّة

إدغار موران

إن الجماعة البشرية ذات العصر الكوكبي، تسمح بالعمل على تحقق اكتمال هذا الجزء من الأنتروبو-أخلاقية، والمرتبط بالعلاقة بين الفرد المتفرد وبين النوع البشري بما هو كل. عليها أن تعمل على جعل النوع البشري يتطور في اتجاه الإنسانية، مع الحفاظ على شرطه البيولوجي-التناسلي، وهذا يعني العمل على تحقيق الوعي المشترك والتضامن الكوكبي للجنس البشري.

لقد كفت الإنسانية عن أن تكون مجرد مفهوم بيولوجي، رغم أنها غير منفصلة عن المحيط الحيوي. لقد كفت الإنسانية عن أن تكون مفهوما بدون جذور: إنها متجذرة في «وطن»، في «أرض»، والأرض هي عبارة عن وطن في خطر. لقد كفت الإنسانية عن أن تكون مفهوما مجردا : إنها واقع حي، لأنها أصبحت لأول مرة مهددة بالموت. لقد كفت الإنسانية عن أن

Twitter: @ketab_n

تكون مجرد مفهوم مثالي، إذ أصبحت جماعة ذات مصير مشترك، وحده الوعي بهذه الجماعة يمكن أن يقود نحو ما يمكن تسميته بجماعة الحياة. لقد أصبحت الإنسانية على الخصوص مفهوما أخلاقيا : إنها ما يجب أن يتحقق من طرف الجميع، وما يجب أن يتحقق كليا داخل كل واحد منا. فبينما لازال النوع البشري في مغامرته، تحت التهديد بالتدمير الذاتي، أصبح الإلزام الأخلاقي كالتالي : لننقد الإنسانية بالعمل على تحقيقها.

بالتأكيد إن الهيمنة، والضغط والوحشية الإنسانية تتوطن وتتفاقم خطورتها فوق الكوكب. يتعلق الأمر بمشكل تاريخي أساسي، والذي ليس لدينا حلا جاهزا بصدده، ووحدها السيرورة المتعددة الأبعاد، والتي تسعى نحو تحضر كل واحد منا، وتحضر مجتمعاتنا، وتحضر الأرض، قادرة على معالجته.

فبالإضافة إلى سياسة الإنسان، وسياسة الحضارة، وإصلاح الفكر، تعمل الأنتروبو-أخلاقية بماهي نزعة إنسانية حقيقية ، كما يعمل الوعي بالأرض، على التقليص من الخزي الذي يطال هذا العالم.

هكذا فمقصدنا الأخلاقي والسياسي، يتطلب منا في نفس الوقت تطوير علاقة الفرد بالمجتمع في الاتجاه الديموقراطي، وتطوير علاقة : الفرد بالنوع بمعنى تحقق الإنسانية، وبالتالي يعني التطوير المتبادل لمصطلحات الثالوث : الفرد والمجتمع والنوع.

إننا لا نمتلك المفاتيح التي من شأنها أن تفتح لنا أبواب مستقبل أفضل، إننا لا نعرف طريقا مرسوما يمكن السير فيه، لكننا نستطيع «أن نكتشف الطريق من خلال السير»، كما يقول أنطونيو ماشادو. ولكن بإمكاننا أن نحدد غايتنا، والمتمثلة في الاستمرار في أنسنة الإنسانية، عن طريق تحقيق المواطنة الأرضية في إطار جماعة بشرية كوكبية.»

تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي.
دار توبقال للنشر، 2002ص. 108/ 107/ 106

Twitter: @ketab_n

# أقوال فلسفية

1.جاك دريدا: « إن الحرب الاقتصادية تتحكم في كل شيء، بدء بباقي الأنواع الأخرى من الحروب، مادامت تتحكم في التأويل العملي وفي التنفيذ المتناقض و اللامتكافئ للقانون الدولي». أطياف ماركس

2.ك. لورانز: « إن الحاجة إلى مكان متسع عامل فطري في الإنسان، فالملاحظة تدل على أن الرأفة الإنسانية تتلاشى عندما يعيش الناس بشكل مزدحم جدا».

3. بيير بورديو: «كل عنف له ثمن، لنذكر على سبيل المثال العنف البنيوي الذي تمارسه الأسواق المالية، في شكل تسريحات للعمال، وفي ما توفره من شغل مؤقت، إنه عنف سيؤدي بدوره، على المدى البعيد تقريبا، إلى أشكال من العنف اليومي وتتجلى في الانتحار، في الانحراف، في الجرائم، في المخدرات، في الإدمان على السكر». الرد المعاكس (1998)

4. كلاوزوفيتش: « الحرب إذن هي فعل يعبر عن القوة التي نبحث من خلالها على إجبار الخصم على الخضوع لإرادتنا».

5. دونيس ديكلوس: «يرتسم في الأفق الخوف في شكلين أساسين: الخوف من اتهام توجيه الأجيال الحية المقبلة انطلاقا من الاختيارات الحالية

Twitter: @ketab_n

بصدد التعديلات الخاصة بالجينومات البشرية والحيوانية والنباتية، والخوف من تدمير الطفولة الإنسانية و ذلك بإرغامها على الخضوع لمتعة الراشد. «لوموند ديبلوماتيك (غشت 2001)».

6. ماوتسي تونغ: « ليس العنف مجرد وجبة في حفلة ساهرة؛ إنه لا ينجز مثلما ننجز عملا أدبيا، رسما أو تطريزا...إنه ثورة عاصفة، فعل عنيف تقوم به طبقة ضدا على طبقة أخرى». الكتاب الأحمر الصغير(1966).

7. جيرار لوكليرك: « ترى هل نحن سائرون في اتجاه عولمة هادئة، ستؤدي تدريجيا إلى دنيوة المعتقدات، بحيث تصبح الديانات بمثابة تقاليد تملأ الذاكرة ومجرد مبادئ لتحديد الهوية؟أم نحن سائرون في اتجاه عولمة جيو سياسية، ستولد صدمة كبيرة بين الحضارات؟». مجلة إسبري (دجنبر 2000).

8. هنري برغسون: « إن أصل الحرب هي الملكية الفردية أو الجماعية، وبما أن الإنسانية منذورة للملكية بحكم بنيتها، فالحرب إذن طبيعية. إن الغريزة الحربية قوية جدا، إنها الغريزة الأولى التي ظهرت قبل الحضارة الإنسانية» مصدري الأخلاق

9 . إدوارد سعيد: « إن جذور الرعب، الظلم والبؤس، هي اليوم مرئية وقابلة للعلاج...ولتحقيق ذلك نحتاج إلى الصبر وإلى التربية، في أفق استثمارهما في المستقبل، بشكل مضاد لتسارع العنف والمعاناة على صعيد واسع».

10. هيراقليط: «إن العراك هو أب وملك الجميع. يخوضه البعض وكأنهم آلهة، ويخوضه البعض الآخر باعتبارهم بشر، إنه يجعل من البعض عبيدا ومن البعض الآخر أحرارا. مقتطفات»

11. جانكيليفيتش: « نادرا ما يتعارض العنف مع الضعف، فالضعف في الغالب ليس له أعراض أخرى غير العنف، فالضعيف يكون عنيفا، إنه عنيف لأنه تحديدا ضعيف».

Twitter: @ketab_n

12 . والتربنجمان: « كل عنف هو وسيلة، إما لفرض حق أو للحفاظ عليه. وعندما لا ينسب لأي واحد منهما فإنه يفقد من تلقاء ذاته كل مصداقية». من أجل نقد العنف (1921)

13. نوام شومسكي: «إن الإرهاب شيء جاري به العمل، ونفس الشيء بالنسبة للعنف. ومن الخطأ الاعتقاد أن الإرهاب هو سلاح الضعفاء، فكباقي الأسلحة الفتاكة يعتبر الإرهاب هو سلاح الأقوياء على الخصوص. وعندما ندعي عكس ذلك، فلأن الأقوياء يراقبون كذلك الأجهزة الإيديولوجية والثقافية التي تجعل إرهابهم يتخذ شكلا غير شكل الإرهاب». لوموند ديبلوماتيك (دجنبر 2001).

14 . جورج غيسدورف: «العنف هو نفاذ الصبر في العلاقة مع الغير، حيث يفقد الأمل في مواجهة عقل لعقل فيتم اختيار أقصر وسيلة من أجل فرض الإذعان». فضيلة القوة (1957).

15. ألان تورين: «إن الوضعية الجديدة التي أصبحت عليها الحرب تجعل مراكز معروفة في مواجهة أعداء في كل أنحاء العالم وداخل كل مجتمع، أعداء يعتبرون أنفسهم في وضعية حرب مع النسق الاقتصادي والسياسي، والذي تشكل الولايات الأمريكية المتحدة مركزه الرئيسي وليس مركزه الأحادي». ليبيراسيون (14 شتنبر 2001).

16. فتحي بن سلامة: «إن العنف المتطرف لا يتجلى في تعويض إمكانية الكلام بالموت، بل إنه يكمن في تحطيم حاجز، وفي وجود فاصل ضروري بين التكلم والقتل». مجلة إسبري (يونيو 1991).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

# فهرس

تمهيد..... 5

## I . تحديد المفهوم

I.1. تعريف (أندري لالاند)..... 9

## II . العنفُ بين الطّبيعَة والثّقَافَة

II.1. العنفُ أو لعبةُ الحيَاة والموْت(جُوزيفْ دوميسْتر)..... 11

II.2. القوّةُ هي القانُون الأسْمى (أفلاطون)..... 12

II.3. العنفُ الإنساني بماهُو ضدَّ الإنسَان (جانْ بول سارتر)..... 13

II.4. العنفُ كنزْعَة داروينيّة (جُونْ لويس)..... 14

II.5. الأسُسُ الفيزيولوجيَّة للعدوَانية (فاوستوأنطونيني)..... 16

II.6. السّاديّة والمازُوشية(ف. أنطونيني)..... 17

II.7. العنفُ والعدوَان (باربارا ويتمر)..... 18

II.8. العنفُ تفاعُل الفطري والمكتَسَب (باربارا ويتمر)..... 19

II.9. ضَرورةُ العدوانيّة وتوجيهها (غاستون بوتول)..... 23

II.10. غَريزَةُ العدوانيّة (سيغموند فرويد)..... 24

II.11. السُّلطةُ والعنفُ (ج.دولوز)..... 25

II.12. ضَرورةُ الحرْب (فريدريك نيتشه)..... 27

II.13. الحربُ قّداسُ الإنسَان (إميل ستارتيي)..... 28

## III . أسبَابُ العُنْف وتَجلِّيَاتُه

III.1. العنفُ والمقدّس (سورين أباي كيركغارد)..... 31

III.2. العُنْفُ والمقَدّس (جون ميلير)..... 32

III.3. مَديحُ العُنف (جورج صوريل)..... 34

Twitter: @ketab_n

III.4. العنفُ الرَّمزي والهيمنَة الذكورية (بيير بورديو) ..... 35
III.5. حَربُ النّوَايَا(ف.نيتشه) ..... 36
III.6. التّطرُف الدِّيني والأصُولية الجديدَة (أوليفيي روا) ..... 37
III.7. الغَوربة والعنْف (أوليفيي روا) ..... 39
III.8. العنفُ ونزعةُ الاستحوَاذ (إدغار موران) ..... 40
III.9. الحربُ أو أقصَى درجاتِ العنْف (غاستون بوتول) ..... 41
III.10. ظواهرِّية العدوانيّة (فاوستو أنطونيني) ..... 42
III.11. الأنماطُ الثقافيّة للعُنْف (باربارا ويتمر) ..... 44
III.12. مَشْرُوعيَّة العُنْف (باربارا ويتمر) ..... 45
III.13. العنفُ كتَجلٍّي للصِّرَاع الطّبقِي (ماركس - إنجلز) ..... 47

## IV . العُنْفُ ومسَارُ الإنسَانيّة

IV.1. الحوارُ أو العُنْف (إيريك فايل) ..... 49
IV.2. النِّهَايَةُ السياسيّة للعُنْف (إيمانويل كانط) ..... 50
IV.3. العنفُ داخلَ ثقافتنَا المعاصرة (جان بودريار) ..... 50
IV.4. النَّزعةُ الوحشيّة في العصر الكوكبي (إدغار موران) ..... 52
IV.5. مَالُ النَّزعَة التّدميريّة (فاوستو أنطونيني) ..... 53
IV.6. عُنفُ العولَـمَة(جَون بُودريار) ..... 55
IV.7. الهيمَنةُ والإرهَاب (جون بُودريار) ..... 58
IV.8. النَّحْوُ الجَديدُ للْحضَارَات (أوليفي مونجان) ..... 60
IV.9. الإرْهَابُ سِلاَحُ الأقويَاء (نوام تشومسكي) ..... 62
IV.10. الإرْهَابُ كعنف خَالص (بول دوموشيل) ..... 63
IV.11. سِيَاسَةُ اللاَّعُنْف (غاندي) ..... 66
IV.12. العنفُ وأفُقُ الإنسَانيّة (إدغار موران) ..... 68
أقوال فلسفية ..... 68

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تحدثنا عن العنف كظاهرة ملازمة للإنسان وللجماعة، فهذا يعني أن العنف محايث للتاريخ، إذا كان الإنسان صانع لتاريخه فهو إذن مسؤول عن العنف الذي يشهده التاريخ البشري، وإذا كان التاريخ قدرا مرسوما فمعنى ذلك أن الإنسان لا يمكنه إيقاف مد العنف، الذي ينساب على طول التاريخ. لكن كما يتطور الإنسان والمجتمع والتاريخ، يتطور كذلك العنف؛ فأسباب الحروب ونتائجها، وطبيعة العنف، كل هذا تغير بتغير التاريخ لقد تطور العنف في التاريخ المعاصر إلى أن اتخذ صفة الإرهاب، إنه عنف لا يمكن فصله عن التطور التاريخي الحاصل في نظام العولمة.

يبدو إذن أن العنف ظاهرة إشكالية بامتياز، إذ بقدر ما هو مدمر للإنسان وبقدر ما يلعب دورا مهما في صنع التاريخ البشري، بقدر ما يشكل تهديدا حقيقيا لمصير الإنسانية. وبقدر ما يعتبر أساسا لتثبيت السلطة السياسية بقدر ما يمكن أن ينقلب ضدها. هكذا فالعنف ضرورة طبيعية لا سبيل للحد منها سوى التربية، كما أنه ظاهرة تاريخية، لا يمكن تقليص مساحة حضورها سوى بتجذير الوعي الكوكبي.

**الثمن 25 درهما**